جَدليَّة السَّرْمَدِيَّة والخَلْق وشُموليَّة الوَعي

في الفَضاءِ القُرآني

نحو قراءة أنطولوجية في "وحدة الوجود اللاحلولية" وبدون الإختزالية

تأملات بين الفلسفة والعلم والقرآن

زياد عبد الوهاب خليفة

هارتفوردشاير 2026

ARWAD PUBLISHING

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف والناشر. حقوق النشر © 2026

زياد عبد الوهاب خليفة (المؤلف)، دار أرواد للنشر (الناشر). لا يجوز إعادة إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال دون إذن كتابي صريح من الناشر، باستثناء استخدام اقتباسات موجزة في بعض الكتب.

طبع في المملكة المتحدة

جَدليَّة السَّرْمَدِيَّة والخَلْق وشُموليَّة الوَعي

في الفَضاءِ القُرآني

نحو قراءة أنطولوجية في "وحدة الوجود اللاحلولية" وبدون الإختزالية

تأملات بين الفلسفة والعلم والقرآن

الطبعة الأولى، 2026

ISBN: 978-1-80605-742-9

دار أرواد للنشر

6 Folly View, Stanstead Abbotts, Hertfordshire

SG12 8AX – United Kingdom

Ziad.a.khalifeh@gmail.com

الإهداء

مع الشكر والعرفان

إلى

د. مدحت جدعان و فادية خليفة

إلى

سارة خليفة ، أرواد خليفة ، نور خليفة

لونا كوري ، آشتون كوري

المحتويات

الإهداء	7
استباق مبدئي للقارئ	13
مدخل	17
كشاف مصطلحات	23
الفصل الأول: بين الأزل والسَّرْمَد والزمان	47
الفصل الثاني: شمولية الوعي: من الإنسان إلى الوجود	65
الفصل الثالث: الكون بين البداية والديمومة والوعي	91
الفصل الرابع: آيات الخلق دون ذكر العدم	103
الفصل الخامس: آيات شمولية الوعي في القرآن: الكون بوصفه مجالًا للإدراك والاستجابة	109
الفصل السادس: ضدّ الاختزال البلاغي: في نقد ردّ الوعي الكوني إلى الاستعارة	119
الفصل السابع: محنة خلق القرآن: بين الأزلي والزمني	125
الفصل الثامن: وحدة الوجود والتمايز بين الخالق والمخلوق	135
الفصل التاسع: الوعي في الفلسفة الحديثة: من المادة إلى التجربة الذاتية	141
الفصل العاشر: الوعي في التراث الإسلامي: العقل، القلب، والتسبيح الكوني	153
الفصل الحادي عشر: ملخص الفصول السابقة: الخلق، الوعي، والسرمدية	161
الفصل الثاني عشر: الإرادة الحرة بين الفلسفة والعلم والقرآن	167
الخاتمة العامة / بداية الجديدة	189
مسرد المصطلحات	193
المراجع	199
سَرمَد الكلام مِسْك الختام	201

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص: **4**

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: **11**

﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مريم: **65**

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ الرعد: **13**

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: **74**

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: **17**

استباق مبدئي للقارئ

لا يهدف هذا الكتاب، في مقاصده ولا في نتائجه، إلى إنكار التوحيد الإلهي، ولا إلى التشكيك في عقائد البعث والحساب والآخرة، ولا إلى نفي التكليف الإلهي للإنسان ومسؤوليته الأخلاقية في فعل الخير واجتناب الشر. بل ينطلق العمل من الإقرار بهذه الأصول بوصفها الإطار العقدي الذي يتأسس عليه الخطاب القرآني، ويجري البحث ضمنه لا خارجه.

إن المقاربة التي يعتمدها هذا الكتاب هي مقاربة أنطولوجية تأملية، تسعى إلى فهم طبيعة الوجود والخلق والوعي والزمن في ضوء النص القرآني، مع الاستفادة النقدية من الفلسفة الكلاسيكية والحديثة وعلوم الوعي المعاصرة، دون تحويل هذه الحقول إلى مرجعيات بديلة عن الوحي أو منافسة له. فالعلم هنا يُقرأ بوصفه مسارًا للوصف، في حين يُقرأ القرآن بوصفه مسارًا للمعنى والهداية.

وحين يناقش هذا الكتاب مفاهيم مثل شمولية الوعي، أو العلاقة بين الله والكون، أو حضور المعنى في الموجودات، فإنه لا يقول بالحلول ولا بذوبان الخالق في المخلوق، ولا يختزل الإلهي في الطبيعي، بل يقترح إطارًا تركيبيًا قريبًا مما يُعرف فلسفيًا بـ :panentheism أي أن الكون قائم بالله ومرتبط به وجوديًا، دون أن يكون الله هو الكون، ودون أن يفقد الخالق تميّزه المطلق عن المخلوق.

كما لا يتعامل هذا العمل مع الزمن بوصفه حقيقة مطلقة مستقلة، بل بوصفه إطارًا إدراكيًا لتنظيم التغيّر داخل الكون المحدود، ولا ينظر إلى الخلق كحدث منقطع في الماضي، بل كفعل دائم متجدد في الحاضر. ومن هذا المنظور تُقرأ آيات الخلق، لا على أنها مجاز بلاغي صرف، ولا على أنها تقرير علمي تقني، بل باعتبارها إشارات إلى بنية كونية ذات معنى.

إن هذا الكتاب لا يسعى إلى تأسيس مذهب عقدي جديد، ولا إلى نقض التراث الكلامي أو الصوفي، بل إلى فتح أفق حواري جديد بين النص القرآني والعقل الفلسفي والعلم المعاصر، حول أسئلة الوجود والوعي والحرية والمعنى. وهو بذلك لا يقدّم أجوبة نهائية، بل يقترح طريقة في التفكير، ترى الإنسان شاهدًا أخلاقيًا داخل كون مشحون بالدلالة، ومخاطَبًا بالمسؤولية، لا مجرد كائن بيولوجي في عالم صامت.

ومن ثم، فإن ما قد يبدو لبعض القرّاء خروجًا عن المألوف في التأويل، ليس قصدًا لمخالفة العقيدة، بل محاولة لقراءة أعمق للآيات الكونية والوجودية في القرآن الكريم، ضمن وفاءٍ لمركزية التوحيد، وتنزيه الخالق، وحفظ معنى التكليف والآخرة.

جَدليَّة السَّرْمَدِيَّة والخَلْق وشُموليَّة الوَعي

في الفَضاءِ القُرآني

نحو قراءة أنطولوجية في "وحدة الوجود اللاحلولية" وبدون الإختزالية

تأملات بين الفلسفة والعلم والقرآن

مدخل

منذ بدايات الفكر الإنساني، ظلّ السؤال عن الله والوجود والزمان والوعي من أعقد الأسئلة وأكثرها إثارة للقلق والدهشة في آن واحد. هل للكون بداية مطلقة؟ وهل الخلق خروج من عدمٍ إلى وجود، أم هو تحوّل من حال إلى حال؟ وهل الوعي خاصية حصرية للإنسان، أم أن الوجود كله يحمل نصيبًا ما من الإدراك والمعنى؟ ثم كيف يتجلّى الخطاب الإلهي – القرآن – في هذا الأفق الواسع الذي يجمع بين السرمدي والزمني، بين المطلق والنسبي، بين الغيب والشهادة؟

هذا الكتاب محاولة للتفكير في هذه الأسئلة من داخل الفضاء القرآني، لا بوصفه نصًا لاهوتيًا مغلقًا، ولا كتابًا في الأخلاق والبلاغة وحدهما، بل بوصفه نصًا أنطولوجيًا مفتوحًا على أسئلة الوجود والعقل والوعي. فالقرآن لا يكتفي بتوجيه الإنسان أخلاقيًا وتشريعيًا، بل يرسم صورة كونية شاملة: سماوات وأرض، شمس وقمر، جبال وشجر، دابة وإنسان، كلها تشترك في نمط من الحضور أمام الله، وفي علاقة معرفية ووجودية به، تُعبّر عنها آيات التسبيح والسجود، والطاعة، والقول، والخشية.

يتناول هذا العمل فرضيات بسيطة، ولكنها عميقة الدلالة، حول مفاهيم الخالق والزمن والوجود والوعي في القرآن الكريم، مقارنة بأبرز النظريات العلمية والفلسفية حول تلك المفاهيم، والتي لا يوجد اجماع داخل أي من فروع المعرفة تلك حول حقيقة أي منها. في القرآن الكريم، هنالك طروحات واضحة حول تلك المفاهيم، تنزيه الخالق عن المخلوقات، ونسبية الزمن، وحركية الخلق المستمر، والعلاقة بين الخالق والوجود، وشمولية الوعي بصفة أنه ليس حكرًا على الإنسان وحده، بل هو خاصية وجودية متفاوتة الدرجات، تشمل الوجود كله بمستويات متفاوتة من الإدراك والاستجابة والمعنى. وهذه الفرضية لا تعني أن الطبيعة هي الله، ولا أن الموجودات تملك عقلًا إنسانيًا، بل تعني أن الوجود ليس مادة صماء، وأن العلاقة بين الخالق والمخلوق ليست علاقة آلية باردة، بل علاقة حضور وشمول وإحاطة.

ويمكننا القول إن أسماء الله الحسنى تشير إلى المفاهيم ذات الصلة بأطروحة هذا الكتاب.

وزيادة في الايضاح وتجنباً للخلط بين التعريفات والتأويلات المتعددة والمتداخلة لمفهوم وحدة الوجود والمصطلح الخاص به مما وصل اليه المتخصصون باللغة العربية، يتوجب علينا بادئ ذي بدء شرح مجموعة من تلك التعريفات كما تتداولها اللغات الأخرى، ومنها الإنكليزية، بسبب أنها أكثر تخصيصاً ودلالة ودقة وتفريقاً من المصطلح العربي المحصور بـ "وحدة الوجود"، والذي اقتصرت عليه المعاجم العربية الحالية، ولم أعثر على ترجمات دقيقة لكثير من المفاهيم والمصطلحات، باستثناء الواحدية والكمونية وغيرها من المصطلحات التي ذكرها عبد الوهاب المسيري رحمه الله. ومن أهم التعريفات في هذا السياق ما يظهر الفرق الجوهري بين مفهوم وحدة الوجود بمعناه السبينوزي (Monism / Pantheism) (كل شيء هو الله)، ووحدة الوجود اللاحلولية (الكل في الله) (Panentheism)، بمعنى أن كل شيء قائم في الله دون أن يكون هو الله. فالكتاب لا يدعو إلى الحلول ولا إلى الاتحاد، ولا يساوي بين الخالق والمخلوق، بل يحاول التفكير في معنى أن يكون الله محيطًا بكل شيء وأقرب إلينا من حبل الوريد، وأن يكون الوجود مشمولًا بعلمه وكلمته وإرادته دون أن يذوب فيه، وأن يستمد الوجود تماسكه من الزوال ويشتق درجات الوعي من الأصل وهو الله.

كما يتوقف هذا العمل عند مفهوم الخلق نفسه، الذي طالما فُهم على أنه خروج من العدم إلى الوجود، بينما رأى البعض أن المادة أزلية غير مخلوقة ومتحولة دائماً، ويسلط الضوء على النظريات العلمية المعاصرة المتعلقة بنشأة الكون وطبيعته ومدى التقاء العلم بالنص القرآني ذات الصلة، والتأمل في الآيات القرآنية التي تروي سيرة بدايات الخلق وتكشف أن لفظ «العدم» يكاد يكون غائبًا، وأن الخلق يُعرض بوصفه فعلًا دائمًا: ﴿كل يوم هو في شأن﴾، و ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، و ﴿كن فيكون﴾، و ﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾، و ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

وهذا يفتح أفقًا مختلفًا لفهم العلاقة بين الأزل والزمان، وبين السرمدية والتاريخ، وبين علم الله الأزلي وتجلي هذا العلم في وقائع وأحداث زمنية متعاقبة.

وبناء على ذلك تأتي مسألة القرآن نفسه: هل هو أزلي أم حادث؟ وهل كلام الله مرتبط بالزمان أم متعالٍ عليه؟ لقد تحوّل هذا السؤال في التاريخ الإسلامي إلى صراع عقائدي وسياسي فيما عُرف بـ«محنة خلق القرآن». غير أن هذا الكتاب لا يتعامل مع هذه المحنة بوصفها مجرد نزاع مذهبي، بل بوصفها تعبيرًا عن توتر فلسفي عميق بين الأزلي والزمني، بين الجوهر والتجلّي، بين المطلق والنسبي. ويقترح قراءة تركيبية ترى أن القرآن أزلي من حيث كونه في علم الله، وزماني من حيث نزوله وتجلّيه في التاريخ، دون أن يكون في ذلك تناقض أو ازدواج في الحقيقة، وهي قراءة قريبة من محيي الدين بن عربي الذي يرى أن تجلي مظاهر الخلق هو ظهور الحق (الله) في صور الأعيان الثابتة (محتويات الغيب) بمنحها الوجود في "خلق جديد" دائم وتجلي مستمر.

ويولي هذا الكتاب عناية خاصة بمسألة "المجاز" ومشكلة «الاستعارة» في تفسير الآيات التي تنسب الإدراك والتسبيح والقول إلى السماوات والأرض والجمادات، وتلك التي تصف الخالق. إذ شاع في كثير من التفاسير ردّ هذه الآيات إلى المجاز البلاغي بحجة أن الوعي لا يكون إلا للإنسان. غير أن هذا العمل يحاول مساءلة هذا الافتراض نفسه: هل الاستعارة ضرورة نصية، أم افتراض فلسفي سابق فُرض على النص؟ وهل يجوز اختزال نسق كامل من الآيات في وظيفة بلاغية واحدة، مع أن القرآن يعرض هذه المعاني بصيغة تقريرية متكررة ومتسقة؟ ولماذا لا نختزل لغة القرآن في المجاز، لكن من دون إنكار المجاز في لغة القرآن، ولا من رفض البلاغة بوصفها أداة تعبير، ولا استخدام الاستعارة "التجسيم البشري" (يد الله، خلقت بيدي، على العرش استوى ....) لتقريب الفعل الإلهي إلى الأذهان، بل ينتقد تحويل المجاز إلى تفسير شامل يلغي البعد الأنطولوجي للنص. فالقرآن لا يستخدم اللغة للزينة البيانية، بل لبناء تصور عن الوجود والعلاقة بين الخالق والعالم. وحين تُردّ آيات تسبيح المخلوقات، والخشية، والطاعة، والقول، والشهادة إلى استعارات تعليمية فحسب، فإننا لا نفسر النص بقدر ما نفرض عليه تصورًا فلسفيًا سابقًا يرى الكون مادة صامتة والوعي حكرًا على الإنسان.

إن الأصل في اللغة هو الحقيقة، ولا يُصار إلى المجاز إلا عند قيام مانع عقلي أو لغوي يمنع الحمل على الظاهر، ولا يوجد في هذه الآيات ما يمنع من فهمها بوصفها إشارات إلى نمط من الإدراك والاستجابة يناسب طبيعة الموجودات. فالإقرار بوعي متدرج في الكون لا يعني حلول الله في الأشياء، ولا مساواة الجماد بالإنسان، بل الاعتراف بأن الوجود نفسه قائم بعلاقة مع الأمر الإلهي، وأن المعنى ليس طارئًا على العالم، بل متجذر في بنيته.

ومن ثمّ، فإن هذه القراءة لا تهدف إلى تعطيل البلاغة، بل إلى تحريرها من الاختزال، وإعادة وصل اللغة القرآنية بسؤال الوجود، بوصفها خطابًا يكشف عن عالم حيّ بالعلاقة والمعنى، لا مجرد نص رمزي يُختزل في المجاز.

ولا يقف الكتاب عند التراث الإسلامي وحده، بل ينفتح على النقاشات الفلسفية والعلمية الحديثة حول ماهية الوعي وبنية الكون: من فكرة شمولية الوعي (Panpsychism)، إلى نظريات الوعي الاجتماعي (ماركس ومانهايم)، إلى اللاوعي (فرويد)، إلى أسئلة الكوزمولوجيا الحديثة حول بداية الكون وتمددِه وانكماشه، والتصميم الدقيق في قوانينه الفيزيائية والبيولوجية. ويُطرح السؤال لا بوصفه صراعًا بين العلم والإيمان، بل بوصفه بحثًا مشتركًا عن معنى الوجود ومصدر النظام والمعنى فيه.

غاية هذا الكتاب محاولة فتح أفق تأملي جديد يربط بين الله والكون والوعي، والسرمدية والخلق، والعلم والوحي، والعقل والتجربة، والإنسان والكون.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب أقرب الى التفكّر والتأمُّل في الوجود والفلسفة منه الى البحث الفلسفي الأكاديمي، وهو محاولة في التواضع المعرفي أمام اتساع الوجود، وأمام عمق النص القرآني، وأمام حدود العقل البشري. وهو دعوة إلى أن نرى في الكون كتابًا مفتوحًا، وفي القرآن مرآة لهذا الكتاب، وفي الوعي جسرًا بين الإنسان والعالم والخالق.

كشّاف مصطلحات

كشّاف مصطلحات

تعريفات لمجموعة من المفاهيم وتوحيد للمصطلحات الخاصة بها والمستخدمة في مادة هذا الكتاب.

التوحيد Monotheism **: الإيمان بإله واحد، قادر فاعل عادل، قائم بذاته، واجب الوجود، مُنزَّه عن الطبيعة والتاريخ والإنسان، بائن عن خلقه، مغاير للحوادث؛ فهو مركز الكون، المفارق له الذي يمنحه التماسك، ويمنح الإنسان الاستقلال عن سائر الموجودات، والمقدرة على الاختيار، وعلى تجاوز عالم المادية، وذاتِه الطبيعية المادية.**

الوثنية Idolatry**: التعلّق المطلق بالأشياء المادية المحدودة، كالسلطة واللذة والممتلكات المادية والأيديولوجيات، بدلاً من الحقيقة المطلقة أو الله، مما يُقلب العلاقة بين الخالق والمخلوق رأسًا على عقب. ويُعتبر الوثنية انحرافًا جوهريًا عن الرغبات الإنسانية، حيث يُعامل جزء من الواقع على أنه الكل.**

تشمل أهم المنظورات الفلسفية للوثنية ما يلي:

الرؤية التوحيدية (الديانات السماوية): تُعتبر "عبادة آلهة زائفة" أو تعلّقًا مفرطًا بالدنيا، وغالبًا ما يُنظر إليها على أنها أصل الخطيئة. وهي تمثل "طريقة خاطئة في التعامل مع الله".

الرمزية والتمثيلية: الوثنية هي محاولة تمثيل ما لا يُمكن تمثيله (الله) بجسم مادي محدود.

من الناحية الاجتماعية/الأخلاقية: غالبًا ما تنظر التفسيرات الحديثة إلى عبادة الأصنام على أنها تقديس للأفكار أو القومية أو الهوية، حيث تُعطى الأولوية للجماعات على الأفراد.

من الناحية الوظيفية/النفسية: تُعتبر عبادة الأصنام نزعة نفسية لتفريغ الاحتياجات الداخلية للأمان والمعنى في أشياء خارجية.

منظور مُغاير: يرى البعض، كما في بعض التقاليد الشرقية، أن الأشياء المادية ليست أصنامًا في جوهرها، ولكن عند النظر إليها كتجليات للإله، يُمكن أن تكون أدوات للعبادة لا آلهة زائفة.

من الناحية الفلسفية، غالبًا ما تُحلل عبادة الأصنام على أنها قصور في المنظور، حيث يصبح الرمز أهم من الواقع الذي يُفترض أن يُمثله.

عبادة الأصنام، كما تُفهم في اليهودية والمسيحية والإسلام، هي عبادة شيء أو شخص غير الإله الواحد؛ وقد تكون حرفيًا.

عبادة إله واحد Monolatry : **الاعتراف بآلهة متعددة، ولكن عبادة إله واحد فقط.**

التوحيد الجزئي : عبادة إله واحد دون إنكار وجود آلهة أخرى.

الربوبية Deism : لإيمان بإله خالق لا يتدخل في الكون.

وحدة الوجود الإلهي Panentheism : وحدة الوجود الإلهي ("الكل في الله") و (شمولية الوعي بدون الحلولية) هو موقف فلسفي ولاهوتي يرى أن الإله يتغلغل في الكون بأسره ويشمله، وفي الوقت نفسه يتجاوزه. على عكس وحدة الوجود (الله هو العالم)، تؤكد وحدة الوجود الإلهي أن الله أعظم من الكون، مع الحفاظ على التمييز الأنطولوجي بين الخالق والمخلوق.

المبادئ والمفاهيم الأساسية:

"الكل في الله" مقابل "الله في الكل": الكون موجود في الله، والله حاضر في كل جزء من الكون.

التجاوز والحلول: الله ليس فقط في العالم (حلول)، بل هو أيضًا خارجه (تجاوز).

العلاقة الديناميكية: على عكس التوحيد الكلاسيكي، الذي يرى أن الله منفصل تمامًا عن العالم ومستقل عنه، وأنه ثابت ومنفصل، تشير وحدة الوجود الإلهي على وجود علاقة متبادلة، وإن لم تكن متكافئة، فالعالم يؤثر في الله، مما يجعل الله كائنًا ديناميكيًا متغيرًا يختبر الكون.

يُعدّ مذهب وحدة الوجود ذا تأثير بالغ في اللاهوت المعاصر، وأخلاقيات البيئة، والنقاشات الدائرة حول تقاطع العلم والدين، إذ يُقرّ بوجود إلهي في العمليات الطبيعية والتطورية.

الأصل: صاغ الفيلسوف الألماني كارل كراوس هذا المصطلح عام ١٨٢٨ لتمييز وجهة نظره عن وحدة الوجود، ويتجذر هذا المفهوم في تقاليد متنوعة، منها الهندوسية واليهودية القبالية واللاهوت المسيحي.

التجسيم البشري (الأنسنة، التجسيد) Anthropomorphism

(أنثروبومورفيزم) هي نزعة فلسفية ومعرفية تضفي الصفات، المشاعر، النوايا، أو الخصائص البشرية على ما هو غير بشري، مثل الآلهة، الحيوانات، الطبيعة، أو الجمادات. تعتمد كآلية إدراكية لفهم العالم من خلال إسقاط التجربة الإنسانية، وتظهر في الأديان، الأساطير، والفن، وقد تعتبر مغالطة منطقية في تفسير الظواهر الطبيعية .

الأصل والتعريف :مشتقة من اليونانية : (Anthropos) إنسان و (Morphe) شكل، وتعني تمثيل الكائنات أو الظواهر بصبغة بشرية.

السياق الفلسفي والديني: استخدمت تاريخياً لتجسيد الآلهة (مثل آلهة الإغريق) وتفسير الطبيعة بمشاعر إنسانية (مثل "البحر الغاضب").

الوظيفة الإدراكية :يشير بعض الفلاسفة وعلماء النفس إلى أنها طريقة "آمنة" ومألوفة للإنسان لفهم بيئته، حيث يواجه "الوجوه في السحاب" كحماية نفسية.

المغالطة المنطقية: تُعرف في الفلسفة أيضاً بـ "المغالطة الوجدانية Patheti fallacy عند المبالغة في إسقاط المشاعر البشرية على الطبيعة.

المفهوم في الأنثروبولوجيا: تختلف عن "الأنثروبولوجيا الفلسفية" التي تدرس طبيعة الإنسان نفسه وسلوكه، بينما الأنثروبومورفيزم تدرس إسقاط طبيعة الإنسان على غيره .

الحلولية Immanentism

الحلولية هي عقيدة فلسفية وصوفية (وأحياناً دينية) تقوم على فكرة أن الخالق (الإله) يحل في مخلوقاته أو يتماهى مع الكون، ليصبحا جوهراً واحداً أو موجوداً واحداً، فلا يوجد انفصال بين الخالق والمخلوق، حيث الله والطبيعة حقيقة واحدة، ومجموع المظاهر المادية يعلن عن وجود الله .

أبرز جوانب الحلولية:

وحدة الوجود: ترى الحلولية أن الألوهية موجودة وخالدة في كل جزء من الطبيعة، وتتلاشى فيها الثنائية بين الخالق والمخلوق.

الاتحاد: بعض الفرق الصوفية المتطرفة (الحلولية) تعتقد أن الله يتحد ببعض مخلوقاته، كالأنبياء أو الصالحين، مما يجعلهم عين وجود الله.

المنظور الفقهي الإسلامي: يعتبر العلماء والفقهاء القول بالحلول أو الاتحاد كفراً محضاً وضلالة، لأنه يستلزم تجسيم الخالق ووجوده في أماكن لا تليق بذاته.

في الفكر اليهودي: تشير الدراسات (مثل تحليلات عبد الوهاب المسيري) إلى أن الرؤية الصهيونية/اليهودية تتسم بالحلولية، حيث يُنظر إلى "الشعب المختار" أو "الأرض" كحلول للإله، مما يقدس أفعالهم.

الفرق بين الحلول والاتحاد: الحلول يعني وجود ذاتين (إله يحل في مخلوق)، بينما الاتحاد يعني وجود ذات واحدة (الخالق والمخلوق جوهر واحد).

وحدة الوجود Pantheism/Unity of Being

مذهب فلسفي يرى أن الوجود الحقيقي واحد، وهو الله، وأن الكون ومظاهره ما هي إلا تجليات وامتدادات وخصائص أو صور لهذا الوجود الحق، وليس لها وجود مستقل. ارتبطت بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وسبينوزا وأبرز منظريها في الصوفية ابن عربي.

أبرز نقاط وحدة الوجود:

حقيقة الوجود: الوجود في حقيقته هو الله اللامتناهي الخصائص والصفات والطبيعة هي جزء محدود من الله، فالمخلوقات لا ليس لها جوهر مختلف عن الله.

التجليات الإلهية: الكون هو صورة لله، فكل ما تراه في الكون هو الله، ولا يوجد غيره.

الفرق بينها وبين الحلولية: وحدة الوجود تعني أن الوجود هو الله ذاته، بينما الحلولية تعني أن الله يحل في أجزاء الكون.

وحدة الوجود في الفكر الصوفي:

يعتبر أصحاب هذا المذهب أن ما يراه الناس من كثرة في الكون هي "مظاهر" أو "تعينات" للذات الإلهية الواحدة. ويفرق بعضهم بين "وحدة الوجود" (أن لا وجود إلا الله) و"وحدة الشهود" (لا أرى في الكون إلا الله).

الانتقادات: تتنافى مع عقيدة التوحيد الأساسية التي تميز بين الله (الخالق) وما سواه (المخلوق). تُسقط التكليف والعبادة لأنها تجعل العابد والمعبود حقيقة واحدة.

الكمون Immanence

الله كامن في الكون، بمعنى انطواء الموجودات على الله (الله كامن في الكون)، وهذا يعني أن الإله والكون كيان (جوهر) واحد؛ وأن قوانين الكون كامنة فيه، ولا يفهم الكون إلا من خلال دراسة القوانين الكامنة فيه والتي لا يتجاوزها. ومبدأ الكمون هو القول بأن (الكل داخل الكل)، والقول بأن عناصر الوجود تتضمن بعضها بعضاً ولا تؤلف إلا حقيقة واحدة، وهذا عكس التجاوز والتعالي. ومن هنا يكون مبدأ الكمون مقدمة من مقدمات مذهب وحدة الوجود، أو نتيجة من نتائجه؛ حيث ماهية (الإله) كامنة/ باطنة في العالم، أي إنه هو والعالم واحد. وقد قال (سبينوزا) في تعريفه لـ (إله) باللاتينية (ديوس deus est omni**um**) إن الإله هو السبب الكامن لكل الأشياء، لا العلة المؤثرة فيها من الخارج. وارتباط اسم سبينوزا بهذا المصطلح له دلالته؛ ذلك أنه هو الذي نادى بتعادل الإله والطبيعة وترادفهما، أي بكمونه في الطبيعة، بمعنى أنهما، وكل الأشياء، جوهر واحد.

والكمون الكامل بهذا المعنى هو الإنكار الكامل لكل الثنائيات، وللحيّز الإنساني، وإنكار أي وجود للكل المتجاوز.

الحلولية الكمونية (Immanent Pantheism/Monism)

هي رؤية فلسفية/عقائدية تفترض وحدة الوجود، حيث يُعد العالم (الإنسان والطبيعة) جوهراً واحداً متماسكاً، ويحل فيه مبدأ إلهي أو مادي كامن، مما يلغي التمايز بين الخالق والمخلوق. تُرجع كل الظواهر لمصدر واحد، وتُقسم إلى نوعين: روحية (وحدة وجود) ومادية (حلولية/ موت الإله).

أبرز ملامح الحلولية الكمونية:

وحدة الوجود :الإله لا يتجاوز العالم (مفارق)، بل يحل فيه (كامِن) ويصبح جزءاً منه، مما يعني ذوبان الثنائيات.

كمون المبدأ :العالم والطبيعة هما "المقدس" ولا وجود لشيء خارجهما، حيث يصبح المبدأ الحاكم هو "قوانين المادة" أو "قانون الحركة."

الحلولية اليهودية :يشير المفكر عبد الوهاب المسيري إلى أن بعض الرؤى اليهودية (مثل الحسيدية والصباتية) تبنت هذا التصور، حيث يحل الإله في الشعب اليهودي، مما يضفي "قداسة" على أفعالهم وتاريخهم، وهو ما يمهد لـ العلمانية الشاملة.

الحلولية المادية :في مرحلة متقدمة، يختفي المصطلح الروحي للإله ويتم استبداله بالمادة الصرفة، مما يؤدي إلى "موت الإله" أو الرؤية المادية للحياة .

الحلولية الكمونية الواحدية

الحلولية الكمونية الواحدية هي مذهب فلسفي عقدي (وحدة الوجود) يدمج الإله في العالم، حيث يُنظر إلى الطبيعة والإنسان كجوهر واحد كامن، وتختفي فيه الثنائية بين الخالق والمخلوق، مما يجعل الإله حالّاً في كل شيء ومترادفاً مع الوجود، متجاوزاً بذلك مفهوم الإله المتعالي خارج الكون. وتعد القبَّالاه (خاصة اللوريانية) أساساً في تحويل الفكر اليهودي نحو هذا النسق .

أبرز خصائص ومفاهيم الحلولية الكمونية:

وحدة الوجود الروحية :تعتقد بوجود جوهر إلهي حالّ في كل المادة، يمثل مصدر الحركة والبقاء، حيث يصبح الكون كله تجلياً لهذا الجوهر.

الحلولية المادية (موت الإله) :تطور عن الحلولية الروحية، حيث يُستبدل المبدأ الإلهي بمصطلحات مثل "قوانين الطبيعة" أو "قانون الحركة"، فتصبح الواحدية مادية بالكامل وتختفي أي ثنائية (الله/الكون).

إلغاء التجاوز :لا وجود لخالق خارج الكون، بل هو كامن فيه، وتذوب الحدود بين المقدس والمدنس.

الواحدية السائلة :تشير إلى عصر ما بعد الحداثة حيث تتلاشى الثنائيات الصلبة (الطيب/الشرير، الإنسان/الطبيعة).

الارتباط بالقبَّالاه :لعبت القبَّالاه دوراً في الانتقال من التوحيد التقليدي إلى الحلولية، خاصة في التفسيرات الرمزية والشفوية للنصوص .

هذا المذهب يرى التاريخ والطبيعة كعملية مستمرة من الحلول، ويُعتبر أساساً في بعض الرؤى اليهودية والصهيونية لتفسير التاريخ كـ "تاريخ مقدّس" من خلال تميز الشعب اليهودي الذي يمثل الحلول الإلهي .

الباطن والباطني Esotericism/ Esoteric

يشير مصطلح الباطنية إلى مجموعة متنوعة من التقاليد الروحية الغربية والشرقية، التي تركز على المعرفة الباطنية الخفية (تنطوي على معرفة "سرية" أو "خفية") المخصصة لفئة مختارة، بدلاً من التعاليم الظاهرية (العامة) للأديان السائدة.

في الشرق، ظهرت الباطنية مع الفرق الإسلامية (كالإسماعيلية والقرامطة) التي تعتقد بأن للنصوص الدينية ظاهراً وباطناً، وأن المعاني الباطنة "الخفية" لا يدركها إلا "الإمام المعصوم" أو الخاصة، وهي تختلف عن الظاهر المفهوم لعامة الناس. أسسها ميمون القداح وظهرت كتيار تأويلي سري يهدف للسيطرة على العقول.

وفي الغرب، برزت الباطنية كفئة مستقلة في القرن التاسع عشر، وتشمل، من بين أمور أخرى، الهرمنية، والقبالة، والخيمياء، والتنجيم، وحركات حديثة مثل الثيوصوفيا، والروحانية، وحركة العصر الجديد.

السياق التاريخي: يشمل هذا المصطلح تقاليد "المعرفة المرفوضة" التي اعتُبرت، في مراحل مختلفة من التاريخ، غير مقبولة من قِبل العلوم السائدة أو السلطات الدينية.
الخصائص الأساسية: غالبًا ما تُعرَّف الباطنية بالتركيز على التجربة الصوفية المباشرة، والنظرة "الساحرة" للعالم (على عكس النظرات العقلانية غير الساحرة)، والإيمان بالترابط بين مستويات الواقع المختلفة.

أمثلة: تشمل التقاليد والممارسات الشائعة المصنفة تحت هذا المسمى: الغنوصية، والهرمسية، والوردية، والسحر الطقوسي، والخيمياء، والتفسيرات الباطنية للنصوص الدينية.

الدراسة الأكاديمية والتصور المعاصر: على الرغم من إهمالها في كثير من الأحيان، أصبحت الباطنية الغربية مؤخرًا مجالًا معترفًا به للبحث الأكاديمي، مع التركيز على الدور التاريخي والثقافي لهذه التقاليد، وتقود مؤسسات مثل جامعة أمستردام هذا المجال.

التعبيرات المعاصرة: في الثقافة المعاصرة، تتجلى الباطنية في حركة "العصر الجديد"، والممارسات "الخفية"، وأشكال مختلفة من الروحانية البديلة.

المحايثة Immanence

مفهوم فلسفي ونقدي يشير إلى دراسة الشيء في ذاته ومن خلال قوانينه الداخلية، دون إرجاعه لعوامل خارجية، أي "الكمون" أو "الحلول" في الشيء نفسه. تعد مبدأً بنيوياً مركزياً في النقد الأدبي لعزل النص عن سياقاته، وتعتبر نقيضاً للمفارقة أو التعالي (Transcendence).

فيما يلي تفصيل لجوانب المحايثة:

في النقد البنيوي: التحليل المحايث يركز على النص الأدبي كبنية مغلقة ومستقلة تماماً عن سياقها التاريخي أو الاجتماعي أو ذات المؤلف.

في الفلسفة: أشار كانط إليها كحضور الشيء في ذاته (الكمون) مقابل (المفارقة) التي تشير إلى وجود الشيء خارجاً أو متعالياً عليه.

عنصر داخلي: ترى المحايثة أن دلالات النص وقوانينه تنبع من داخله، وتفسر الأشياء كما هي في حقيقتها.

في فلسفة دولوز: يطرح جيل دولوز مفهوم "مسطح المحايثة" كحقل للحياة لا يرجع إلى ذات أو موضوع منفصل، بل هي حالة من الوجود المباشر.

لقد أصبحت المحايثة أداة أساسية في الدراسات النصية لفصل الأدب عن محيطه والتركيز على البنية الداخلية.

الفناء Annihilation

تشير فلسفة الفناء في المقام الأول إلى المذهب اللاهوتي للفناء، الذي يرى أن الأشرار يُفنون تمامًا – أي يزول وجودهم – بعد يوم القيامة، بدلًا من عذابهم الأبدي في الجحيم. وهي متجذرة في مذهب المشروطية، حيث يُعتبر الخلود هبةً لا صفة متأصلة في الروح. وبشكل عام، تتناول هذه الفلسفة مسائل تتعلق بحتمية الموت، وطبيعة الفناء الشخصي، وما إذا كان العدم أمرًا يُخشى منه، وغالبًا ما تتناقض مع المعتقدات بالحياة الآخرة أو العقاب الأبدي.

تشمل الجوانب الرئيسية لفلسفة الفناء ما يلي:

الفناء اللاهوتي: منظور داخل المسيحية يُشير إلى أن الله يُهلك من لا يُرجى منهم خلاص، إذ يُنظر إلى العذاب الأبدي على أنه يتنافى مع المحبة الإلهية، وهو ما يتبناه عادةً أتباع السبتيين وشهود يهوه.

الفناء الوجودي/الفناء الذاتي: مفهوم التخلي عن الأنا أو البنى الذاتية للسماح بالتحول أو وجود أكثر أصالة، وهو مفهوم يُستكشف أحيانًا في الأدب ما بعد الحداثي.

التمييز عن العدمية: على الرغم من ارتباطه بفكرة أن الحياة مؤقتة، إلا أنه يختلف عن العدمية الوجودية التي تنكر كل معنى للحياة.

يُناقش هذا المفهوم كثيرًا في سياقات علم الآخرة (لاهوت نهاية الزمان)، والأخلاق (القتل الرحيم، الانتحار)، والنظرة الإنسانية التي تعتبر الموت توقفًا نهائيًا ومطلقًا.

الموت والعدم: يستكشف فلاسفة مثل كريستوفر بيلشو ما إذا كان الموت حقًا نهاية الوجود، وما إذا كان هذا "الفناء" يجعل الموت أمرًا سيئًا للفرد، مستندين أحيانًا إلى آراء أبيقور التي ترى أن الخوف من العدم غير منطقي.

والفناء فلسفياً هو مفهوم عميق يتجاوز الموت البيولوجي، حيث يمثل في التصوف سقوط الأوصاف المذمومة وغياب العبد عن شهود نفسه لاستغراقه في الحق المنصة الرسمية لوزارة الأوقاف. يُنظر إليه كحالة روحية "للموت قبل الموت"، تعني تلاشي الأنا والاتحاد بالمطلق، بينما في السياق الوجودي يمثل قبولاً لتحرر الذات من مقاومة حتمية الفناء

الفناء الصوفي (التصوف الإسلامي) :يمثل الفناء والبقاء أعلى مقامات التصوف، حيث يُفنى المريد عن إرادته ووجوده الذاتي ليحيى بالله (البقاء). يُعرف أيضاً بأنه سقوط الأوصاف البشرية الفانية وبقاء الأوصاف الإلهية الباقية.

الأسس الفلسفية والمقارنة :ترجع جذور عقيدة الفناء الصوفية إلى تأثرات بفلسفات يونانية (الأفلوطينية الحديثة) والبوذية، لا سيما بمفهوم الـ "نيرفانا ".

الفيضية Emanationism

الفيضية هي نظرية فلسفية/محدثة تشرح صدور الوجود والموجودات عن "الواحد" (الله) بشكل ضروري وتدريجي، شبيه بفيض النور عن الشمس، بدلاً من الخلق من عدم. أسسها أفلوطين وتبناها فلاسفة مسلمون كالفارابي وابن سينا لتفسير العلاقة بين الخالق والكون المادي عبر سلسلة من العقول والأفلاك.، بينما انتقدها متكلمون كالغزالي.

أبرز أفكار نظرية الفيض:

الصدور الضروري: الوجود يفيض عن "الأول" (الله) بضرورة الجود لا بالفعل الإرادي، فالواحد لا يصدر عنه إلا واحد.

مراتب الوجود: يتدفق الوجود في درجات متنازلة من الكمال إلى النقص: الواحد –> العقل الأول –> العقول الفلكية –> النفس الكلية –> العالم المادي.

مشكلة الواحد والكثير: تهدف النظرية لتفسير كيف صدرت الكثرة (المخلوقات) عن الواحد المطلق، حيث يفيض العقل الأول من الله، ثم يفيض عن هذا العقل ما يليه.

التأثير والواسطة: الفيض عملية تنظيمية يتم فيها الخلق عبر وسائط (عقول) تترتب درجاتها، بينما التأثير والإيجاد الحقيقي هو للواجب تعالى.

ترتبط الفيضية بفكرة "وحدة الوجود" والنظرة الجدلية التي تميز بين العالم المفارق المادي المحسوس.

التجسد Incarnation

التجسد فلسفيًا (Incarnation) هو مفهوم أنطولوجي يشير إلى اتخاذ فكرة، روح، أو كائن إلهي غير مادي شكلاً ماديًا ملموسًا (جسد) .يجسد هذا التصور تحقيق الفكرة في الواقع الأرضي، سواء كان تجسدًا لإله في شكل بشري/حيواني أو تحولًا ماديًا للطاقة، وهو يختلف عن التناسخ (Reincarnation) الذي يعني انتقال الروح لجسد آخر (تناسخ الأرواح).

جوانب التجسد الفلسفية:

التجسيد المادي :يشير إلى جعل الشيء ماديًا وملموسًا ومرئيًا.

الفلسفة الدينية :يمثل التجسد في المسيحية (Incarnation) اتحاد الألوهية بالإنسانية في شخص يسوع المسيح، وهو حجر زاوية لاهوتي للفداء.

تجسد الأفكار :يصف كيفية تحول المبادئ المجردة (مثل الحرية، الحكمة، أو الفن) إلى واقع مادي ملموس .

المبدأ الحيوي Vitalism/Animism

مذهب فلسفي وعلمي قديم يرى أن الكائنات الحية تتميز عن الجمادات بوجود "قوة حيوية" غير مادية (Life Force) أو نفس (Psyche) تدير وظائف الجسم والعمليات الحيوية. يرفض هذا المذهب تفسير الحياة كلياً بالفيزياء والكيمياء، مفترضاً وجود عامل باطن يوجه النمو والتطور .

أبرز تفاصيل المبدأ الحيوي (أنيميزم/الحيوية):

جذور تاريخية :تمتد جذوره إلى الفلسفة اليونانية (أرسطو) الذي اعتبر النفس قوة روحية تهيمن على الكائنات الحية.

القوة الحيوية :(Élan vital) يُعتقد أنها قوة غير مادية، يطلق عليها أسماء مختلفة مثل "الدفعة الحيوية"، "الانتلخيا"، أو "الجوهر شبه النفسي."

التكوين الذاتي :يرى المذهب أن الكائنات الحية لا يمكن أن تنبثق من المادة غير الحية (الجماد) دون تدخل هذه القوة الفاعلة.

تراجع المذهب :تم دحض النظرية علمياً في القرن التاسع عشر (عام 1828) عندما تمكن فريدريك وولر من تصنيع اليوريا (مادة عضوية) من مواد غير عضوية، مما أثبت أن التفاعلات الحيوية تخضع للقوانين الكيميائية .

على الرغم من اعتباره اليوم مفهوماً "زائفاً علمياً"، فقد شكل المبدأ الحيوي أساساً لفهم الحياة لفترات طويلة، حيث ركز على الخصائص المتميزة للكائن الحي ككل وليس فقط مكوناته .

الماكروكوزم (الكون الأكبر) Macrocosm والمايكروكوزم (الكون الأصغر/ الإنسان) Microcosm

هما مفهومان فلسفيان قديمان يشيران إلى التناظر بين الكون ككل (المجموع) والإنسان (الجزء)، حيث يعتبر الإنسان نسخة مصغرة أو انعكاساً للبنية الكونية، ويسري عليهما نفس القوانين الهيكلية والروحية. هذا التشابه يعني أن دراسة وفهم أحدهما يساهم في فهم الآخر .

الماكروكوزم – Macrocosm الكون الأكبر: يشير إلى الكون ككل، بما فيه من فضاء كوني، مجرات، ونجوم. يعتبر في الفلسفات القديمة (مثل اليونانية والرواقية) كائناً حياً له روح وعقل ("روح العالم"). هو النظام الشامل الذي يشمل كل شيء في الوجود .

المايكروكوزم – Microcosm الكون الأصغر: يشير إلى الإنسان كجزء صغير يمثل الكون الأكبر. تقوم هذه الفكرة على أن وظائف الأعضاء البشرية تناظر

وظائف الكواكب الكونية (مثلاً: الكبد، القلب، المعدة). يُنظر إليه كعالم مصغر يحتوي على نفس العناصر والتركيبات الموجودة في العالم الكبير .

أبرز المبادئ الفلسفية:

التناظر والتماثل :ساد الاعتقاد في الحضارات القديمة (بلاد ما بين النهرين، إيران، الصين، واليونان) بأن هناك توافقاً وثيقاً بين الكون (الأكبر) والجسد/النفس البشرية (الأصغر).

الطبيعة الإلهية :أشار أفلاطون والرواقيون إلى أن الروح الإنسانية ذات طبيعة إلهية مشابهة للروح الكونية.

فلسفة سبينوزا :طرحت فكرة تعادل الخالق والطبيعة والإنسان، حيث يعتبر الإنسان جزءاً من الكل وخاضعاً لقوانينه .

في الفكر المعاصر، يُستخدم المصطلحان للإشارة إلى أي نظام صغير (الجسيمات الذرية ودون الذرية والقوانين الفيزيائية الكميّة التي تحكمها)، والذي يمثل نظاماً أكبر (جميع الموجودات التي نراها وندركها بالحواس وتمثلها معادلات وقوانين رياضية مختلفة).

اللوجوس Logos

اللوجوس (Logos) مفهوم فلسفي يوناني قديم يعني "الكلمة"، "العقل"، "السبب"، أو "النظام الكوني ."يُشير إلى المبدأ العقلاني الكامن وراء تنظيم الكون وانسجامه، بدلاً من الأساطير (الميتوس). تطور من كونه قانوناً طبيعياً عند هيراقليطس إلى "عقل كلي" عند الرواقيين، ثم "الكلمة الإلهية" في الفلسفة الدينية .

الكونية الشاملة Pancosmism

الكونية الشاملة هي مذهب فلسفي يرى أن الكون المادي والزماني (الكون) هو كل ما هو موجود. ظهرت هذه المذهب في القرن التاسع عشر، وهي تطرح رؤية مادية للعالم تركز على الكون باعتباره الحقيقة الكاملة القائمة بذاتها. وغالبًا ما ترتبط بالاعتقاد بأنه لا شيء موجود خارج الكون المادي المرئي، على غرار المادية أو الطبيعية.

النفسانية الشاملة Panpsychism "النفسانية الشاملة"، "الروحية الشاملة"، أو "مذهب وحدة الوعي"

النفسانية الشاملة هي الرؤية الفلسفية التي ترى أن العقل أو الوعي سمة أساسية وعالمية للواقع، موجودة بشكل أو بآخر حتى في الجسيمات الأولية كالإلكترونات، مما يشير إلى أن الوعي المعقد (كالوعي البشري) ينشأ من تضافر هذه الخصائص العقلية الأساسية الأبسط، بدلاً من انبثاقه من مادة غير واعية تمامًا. وتقدم هذه النظرية طريقة لمعالجة "معضلة الوعي المعقدة" من خلال اقتراح أن التجربة ليست شيئًا جديدًا يظهر فجأة، بل هي جانب مستمر من جوانب الكون، يتفاوت في تعقيده. وتشمل الأفكار الرئيسية أن للجسيمات خصائص تجريبية أساسية، تتحد لتشكل وعيًا عالي المستوى، وقد اكتسبت هذه النظرية اهتمامًا متجددًا في فلسفة العقل والعلوم لقدرتها على التوفيق بين المادية والتجربة.

المفاهيم الأساسية:

أساسي وعالمي: الوعي ليس خاصية ناشئة عن الأدمغة المعقدة، بل هو لبنة أساسية لكل شيء.

معضلة الوعي المعقدة: تهدف إلى حل كيفية نشوء التجربة الذاتية من المادة الفيزيائية من خلال القول بأن المادة تمتلك بالفعل بعض الخصائص الشبيهة بالعقل.

"كل الأشياء"، بدءًا من الإلكترونات والذرات وصولًا إلى النباتات والحيوانات والكون نفسه مشمولة بـ (الوعي الكوني).

الوعي المتدرج: يوجد الوعي بدرجات متفاوتة؛ فالكيانات البسيطة تمتلك خبرة ضئيلة، بينما تتمتع الأنظمة المعقدة (كالدماغ) بوعي غني ومتكامل.

المفكرون الرئيسيون والتاريخ: في الفلسفة اليونانية القديمة (طاليس، أفلاطون) والتقاليد الشرقية. أعاد فلاسفة مثل جالين ستروسون وفيليب جوف إحياء هذا المفهوم في الفلسفة المعاصرة. يرتبط هذا المفهوم بسبينوزا، وليبنيز (المونادات)، وشوبنهاور، وويليام جيمس.

كيف يعمل (الآلية المقترحة): تمتلك الجسيمات الأولية خصائص تجريبية جوهرية غير مادية إلى جانب خصائصها الفيزيائية (الكتلة، الشحنة). تتحد هذه التجارب البسيطة، أو تتكامل، لتشكل الوعي المعقد الذي نعرفه.

مشكلة التركيب: كيف تتحد أعداد لا حصر لها من الوعي الصغير لتكوين وعي موحد ومعقد (كالوعي البشري)؟

وحدة الوعي مقابل وجهات نظر أخرى: تقول وحدة الوجود إن كل شيء هو الله؛ بينما تقول وحدة الوعي إن لكل شيء عقل.

ليست ثنائية: تتجنب الفجوة بين العقل والمادة بجعلهما وجهين لحقيقة أساسية واحدة.

ليست مثالية: لا تدعي أن الوعي هو الحقيقة الوحيدة، بل جزء أساسي منها.

الوعي الشامل Comprehensive Awareness

الوعي الشامل هو الرؤية الفلسفية التي ترى أن العقل أو الوعي سمة أساسية وشاملة للواقع، موجودة في كل شيء، من الجسيمات الأولية إلى الكائنات الحية المعقدة،

وليس شيئًا يظهر بشكل غامض فقط في العقول المتقدمة. ويشير هذا إلى أن لكل شيء شكلًا من أشكال التجربة الذاتية، حيث تتحد الأشكال الأبسط في المادة الأساسية لتكوين الوعي الأغنى الذي نختبره، مما يقدم حلًا محتملًا لـ"المشكلة الصعبة" للوعي من خلال تجنب فكرة أن المادة الخاملة تخلق التجربة من العدم.

الوعي الشامل في الفلسفة هو إدراك وجودي وتأملي يتجاوز المعرفة الذاتية المباشرة ليتضمن فهمًا كليًا للعلاقة بين الذات، الآخرين، والعالم .هو حالة يقظة تجعل الإنسان يدرك أفعاله، مشاعره، وسياقه الاجتماعي، حيث يربط الفلاسفة بين الوعي بالذات وتكوين الوعي الجماعي من خلال التجربة الوجودية .

أبرز أبعاد الفلسفة الشاملة للوعي:

الوعي كجوهر ومادة :يعتبر الفيلسوف ديكارت أن الوعي هو "الجوهر المفكر" الذي يميز الإنسان، وهو معرفة مباشرة للذات بذاتها.

الوجود الاجتماعي يحدد الوعي :يرى ماركس أن الوعي ينشأ من علاقات الإنتاج، فالوجود الاجتماعي هو الذي يشكل وعي الناس وليس العكس.

الوعي والآخر (الوجودية) :يربط سارتر الوعي بالآخر، حيث إن نظرة الآخر إلينا هي التي تجعلنا نعي ذواتنا كموضوع.

علاقة الذات بالعالم :يوضح ميرلوبنتي أن الوعي يمنح العالم معناه، وأن هناك علاقة جدلية حيث لا يمكن للذات تمثيل نفسها دون إسقاطها في العالم.

الوعي الذاتي والتأملي :ينقسم إلى وعي عفوي (يومي تلقائي) ووعي تأملي (تفكير عميق).

الوعي كظاهرة أخلاقية :يُنظر إليه كقدرة على التفاعل مع القيم، وإدراك الجمال، والأخلاق، ومعنى الأشياء .

تاريخيًا، تطور الوعي كموضوع فلسفي منذ الفكر الشرقي القديم مرورًا باليونان، وصولًا إلى العصر الحديث والمعاصر حيث أصبح يُنظر إليه كلغز .

الأنسنة (الشخصنة/التجسيم البشري) Anthropomorphism

يُطلق مصطلح "التجسيم" على استخدام أعضاء أو أجزاء من جسم الإنسان كاستعارة لوصف الله.

يأتي هذا المصطلح من الكلمتين اليونانيتين "أنثروبوس" (بشري) و"مورفي" (شكل)، ويشير تحديدًا إلى إضفاء الشكل البشري، أو أجزاء من الجسم (مثل اليدين، أو العينين، أو الذراعين)، أو الأفعال على الإله.

الغاية: يجعل التجسيم الله المجرد والمتعالي أكثر قابلية للفهم والتفاعل مع التجربة الإنسانية.

أمثلة: غالبًا ما تشير الكتب المقدسة إلى "عيني الرب" (للدلالة على العلم المطلق/اليقظة)، و"يد الله" (للدلالة على القدرة/الفعل)، أو "ذراع الرب" (للدلالة على الخلاص).

مصطلح ذو صلة (المشاعر): عندما تُنسب المشاعر الإنسانية (مثل الغضب، أو الغيرة، أو الندم) إلى الله، يُطلق على ذلك أحيانًا اسم "التجسيد".

التمييز: في علم اللاهوت، تُفهم هذه المصطلحات عمومًا على أنها أوصاف مجازية، وليست حرفية، لكائن إلهي يُعتبر روحًا. ملاحظة: في حين أن بعض الكتابات اللاهوتية القديمة والأقل شيوعاً تستخدم مصطلح "الأنثروبولوجيا الإلهية" لوصف اتحاد الطبيعة الإلهية والبشرية، فإن المصطلح القياسي لوصف الله بأعضاء جسدية بشرية هو التجسيم.

التوحيد والحلولية الكمونية الواحدية والإتحاد

نلاحظ تضادًا جوهريًا بين مفهوم التوحيد والحلولية الكمونية؛ فالتوحيد يقوم على الإيمان بإله واحد، قادر وعادل، مستقل عن الطبيعة والتاريخ والإنسان، ومغاير للمخلوقات والحوادث، وهو مركز الكون الذي يمنحه التماسك ويمنح الإنسان القدرة على الاختيار وتجاوز المادية. أما الحلولية الكمونية، فهي تصور يرى الإله حالًا في الطبيعة والإنسان والتاريخ، بحيث يصبح مركز الكون كامنًا فيه. بهذا يكون التوحيد نقيضًا للحلولية الكمونية.

ترتبط الحلولية الكمونية ارتباطًا وثيقًا بالعلمانية الشاملة، إذ تمثل رؤية واحدية مادية تفسر الكون من خلال القوانين الكامنة فيه دون اعتبار لأي قوانين متجاوزة. ويؤدي تصاعد الحلولية الكمونية إلى هيمنة التفسير المادي وزيادة العلمنة والترشيد.

يمكن قراءة تاريخ الفلسفة الغربية كصراع بين رؤية إيمانية تؤمن بتجاوز الإله والإنسان للطبيعة، ورؤية حلولية كمونية مادية ترى الإله كامنًا في الطبيعة والإنسان جزءًا منها، غير قادر على تجاوزها. وداخل الحلولية الكمونية نفسها، ينشأ صراع بين التمركز حول الذات (تأليه الإنسان) والتمركز حول الموضوع (تأليه الكون).

أما الفرق بين الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، فالحلول والاتحاد يفترضان وجودًا إلهيًا يحل أو يتحد بالمخلوقات، بينما وحدة الوجود تلغي الفارق بين الخالق والمخلوق، وتعتبر أن الله هو الخلق والخلق هو الله.

الواحدية / الأحادية Monism

الأحادية، اسمها مشتق من الكلمة اليونانية monos (مفرد/وحيد)، هي الرؤية الفلسفية أن كل الواقع يتكون من جوهر واحد موحد، أو مبدأ واحد، أو ماهية واحدة، مختزلاً الظواهر المعقدة إلى كيان أساسي واحد. وهو يتناقض مع الثنائية (جوهرين) والتعددية (متعددة)، ويهدف إلى تفسير الوحدة الكامنة وراء الوجود. ومن أبرز أشكاله المذهب الأحادي المادي (كل شيء مادي) والمذهب الأحادي المثالي (كل شيء عقلي).

المذهب الأحادي المادي/الفيزيائي، يرى أن المادة هي الشيء الوحيد الموجود، وأن العقل ليس إلا نتاجًا لنشاط الدماغ المادي. لا توجد مشكلة العقل والجسد في الأحادية، فهي ترى أن العقل والجسد ليسا منفصلين، بل هما وجهان لعملة واحدة، جوهر واحد.

أما المذهب الأحادي المثالي، فهو يرى أن الواقع عقلي في جوهره، وأن العالم المادي ما هو إلا إسقاط للوعي.

أما الوحدانية المحايدة، فهي الرؤية القائلة بأن الجوهر الأساسي ليس عقليًا ولا ماديًا في جوهره، بل هو جوهر ثالث محايد.

فلسفة الزمان والمكان Philosophy of Space and Time

تستكشف فلسفة المكان والزمان الطبيعة الأساسية لهذه الأبعاد، ووجودها، وبنيتها، متسائلةً عما إذا كانت حاويات مطلقة، أو مفاهيم علائقية، أو أطرًا ذهنية. وتشمل النقاشات الرئيسية: الأبدية (eternalism) مقابل الحاضرية (فقط الحاضر حقيقي) (presentism) ومسألة واقعية الماضي/المستقبل، والجوهرية مقابل العلائقية (الوجود المستقل للزمن)، وتأثير النسبية على دمجها في فضاء-زمن ديناميكي رباعي الأبعاد (الزمكان).

جوانب رئيسية في فلسفة المكان والزمان:

طبيعة الزمن (الحاضرية مقابل الأبدية): ترى الحاضرية أن الحاضر فقط هو الحقيقي، بينما تشير الأبدية (أو "الكون الثابت") إلى أن جميع نقاط الزمن (الماضي، والحاضر، والمستقبل) متساوية في الواقعية، على غرار المواقع في الفضاء.

الفضاء: المطلق مقابل العلائقي: دافع نيوتن عن الفضاء المطلق (حاوية مستقلة عن الأشياء)، بينما اقترح لايبنتز رؤية علائقية، حيث يكون الفضاء مجرد علاقة مكانية بين الأشياء.

الزمكان والنسبية: دمجت نظرية النسبية لأينشتاين الفضاء ثلاثي الأبعاد والزمن أحادي البعد في زمكان رباعي الأبعاد، وهو نسيج موحد ينحني بفعل الجاذبية. هذا يعني أن الزمن ليس كونيًا؛ إذ يمكن أن يسير بسرعات مختلفة تبعًا للسرعة والجاذبية.

البنية: من الأسئلة الأساسية ما إذا كان المكان والزمان متصلين (قابلين للقسمة إلى ما لا نهاية) أم منفصلين (مكونين من أجزاء صغيرة).

تدفق الزمن: تبحث الفلسفة في سبب شعورنا بأن الزمن يتحرك للأمام، وهو مفهوم يُعتبر أحيانًا تجربة ذاتية وليس خاصية فيزيائية موضوعية.

الصفحة البيضاء Blank Slate

أن الإنسان يولد دون محتوى عقلي مُدمج، أو معرفة فطرية، أو سمات مُحددة مُسبقًا، وأن شخصيته وذكائه يتشكلان بالكامل من خلال التجربة والبيئة والتعليم. وقد شاع هذا المنظور على يد الفيلسوف جون لوك، وهو يُركز على "التربية" بشكل كبير على "الطبيعة". على الرغم من أن أرسطو قد ذكرها، إلا أن الفيلسوف جون لوك في القرن السابع عشر هو من رسّخها.

العقل عند الولادة يكون "لوحًا غير مكتوب" أو صفحة بيضاء. المبدأ الأساسي: جميع المعارف تُكتسب من خلال الإدراك والتجربة الحسية.

النقد الحديث لهذه النظرية: على الرغم من تأثيرها في علم النفس والفلسفة، تشير العلوم الحديثة إلى أن العقل لا يولد فارغًا تمامًا، إذ تؤثر الوراثة والبيولوجيا بشكل كبير على السلوك البشري ونموه. غالبًا ما تُقارن نظرية الصفحة البيضاء بفكرة الخصائص الفطرية المُحددة مسبقًا.

الفصل الأول

بين الأزل والسَّرْمَد والزمان

الفصل الأول

بين الأزل والسَّرْمَد والزمان

يُعدّ التفريق بين الأزل والسرمد والزمان من القضايا المفصلية في فهم العلاقة بين الله والوجود. فكثير من الإشكالات العقدية والفلسفية نشأت من الخلط بين هذه المفاهيم، أو من إسقاط مفاهيم الزمان على ما هو متعالٍ عنه، أو من محاولة تصور السرمدي بأدوات العقل الزمني المحدود.

1. الأزل والأبد والسَّرْمَد

يُستخدم في التراث الإسلامي ثلاث مصطلحات متقاربة ظاهريًا، لكنها مختلفة دلاليًا:

الأزل :هو نفي البداية، أي ما لا يُتصوَّر له ابتداء.

الأبد :هو نفي النهاية، أي ما لا يُتصوَّر له انتهاء.

السَّرْمَدُ: هو الوجود الذي لا يخضع للزمان أصلًا، لا بداية له ولا نهاية، ولا يجري عليه قبلٌ ولا بعد.

فالسَّرمدية ليست طولًا في الزمن، بل هي تجاوز للزمن نفسه .وإذا كان الزمان سلسلة من اللحظات المتعاقبة، فإن السَّرمدية حضور كامل لا يتجزأ ولا يتدرج. ومن هنا كان وصف الله تعالى بالحي القيوم، وبالأول والآخر، ليس وصفًا زمنيًا، بل توصيفًا لوجود لا تحكمه مقولات التعاقب والتحول:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ الحديد: 3

فالآية لا تضع الله داخل خط الزمن، بل ترفعه فوقه، وتجعله محيطًا به من جميع جهاته

2. الزمان كخاصية للوجود لا إطارًا لله

تعددت الرؤى حول الزمن، وفي الرؤية القرآنية، الزمان ليس جوهرًا مستقلًا بذاته، بل هو من خصائص العالم المخلوق (الكون المنظور). فالليل والنهار، والتعاقب، والتبدل، كلها آيات من آيات الوجود لا صفات للذات الإلهية.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ الزمر: 5

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الرحمن: 29

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ الإسراء: 99

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ المعارج: 4

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام: 73

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: 54

هذه الآيات لا تصف تغيرًا في ذات الله، بل تصف تجدد الفعل الإلهي في الوجود. فالتغير واقع في العالم، لا في المطلق. وبذلك يصبح الزمان ليس حاوية سابقة على الخلق، بل نتيجة من نتائج الخلق نفسه. فالخلق لا يحدث داخل زمن جاهز، بل الزمن يولد مع الخلق بوصفه نمطًا من أنماط الوجود.

وتتفق هذه الرؤية مع العلم الحديث، فبداية الزمن ترتبط بنشأة المكان مع الانفجار العظيم قبل 13.8مليار سنة تقريباً، وهو ليس مطلقاً كما اعتقد نيوتن، بل هو بُعد رابع نسبي يندمج مع الأبعاد المكانية الثلاثة لتكوين "الزمكان"، ويتأثر بالسرعة والجاذبية، وأثبتت النسبية لآينشتاين أن الزمن يتباطأ كلما زادت السرعة، مما يجعله نسيجاً مرناً وليس مجرد تدفق ثابت، بل هو جزء من تجربة ذهنية وإدراكية مرتبطة بالحركة والوعي، وتوجد داخل فيزياء الأسس والكونيات مقاربات تشكّك في كون الزمن كيانًا أوليًا، وتتعامل معه كعلاقة بين أحداث/كَمّ ناشئ (ميكانيكا الكم)، ويشكك بعض الفيزيائيين في كونه كياناً أساسياً، معتبرين إياه مجرد ارتباط بين الأحداث أو خدعة إدراكية.

أما ليبنتز فتحدث عن الزمن بوصفه علاقة لا جوهرًا (Relational Time)، فالزمن ليس شيئًا قائمًا بذاته، بل هو قياس للتغير ووعيٌ بالانتقال من حالة إلى حالة. الأشياء تتحرك، والموضع السابق الذي نتذكره هو ما نفسره زمانًا. فبدون الحركة والتغيير والذاكرة لا يوجد ما نسميه "قبل" و"بعد."

وعند هوسرل وبرغسون، الزمن نتاج للوعي والذاكرة (ظاهراتيًا)، والزمن هو تجربة داخلية: حيث الذاكرة = الماضي، والانتباه = الحاضر، والتوقع = المستقبل. بدون وعي: لا يوجد "زمن" بالمعنى الذي نعرفه، بل تغير بلا قصة.

وشبه ألبرت آينشتين الزمن بـ "الوهم العنيد" في رسالة تعزية مرتبطة بميشيل بيسّو، لمواساة زوجة الفقيد باعتبار التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل مجرد "وهمٌ عنيد" ومستمر، وكأنه يريد التعبير عن أن بيسّو قد يكون لا يزال حياً بالنسبة إلى مقطع احداثيات زمكاني مختلف قليلاً، ولا أدري إن اخترق هذا العزاء النظري شغاف قلب الزوجة وعقلها أم لا! المهم هذا الاقتباس يذكر كسياقٍ فلسفي داخل فكر النسبية لا كبرهان على "عدم وجود الزمن".

وينسب إلى آينشتين القول إن " لا شيء يبدأ حتى يبدأ شيء ما بالتحرك". غير أن ذلك لا يعني أن الزمن غير حقيقي، انما القصد ازاله صفة "المطلق" عن الزمان ودمجه مع المكان – الزمكان "بلوك كوني" ثابت.

أما أبو حامد الغزالي فيرى أن الزمن مخلوق ومحدود، وليس أزلياً، حيث يرتبط بوجود العالم وحركته. ويعد الزمن عند الغزالي "خلقاً جديداً" يتيقظ فيه المؤمن لفعل الخير، معتبراً أن الحاضر هو الوقت الحقيقي الوحيد المتاح، مما يوجب استغلاله وعدم الغفلة عن العبرة.

ويمكن تلخيص فكرة الزمن عند الغزالي في النقاط التالية:

خلق الزمن ونفي الأزلية: عارض الغزالي الفلاسفة الذين قالوا بأزلية العالم وزمانه، مؤكداً أن الزمان له بداية (خلق).

الزمن حادث بإرادة الله: يرى أن الله خلق الزمن مع خلق العالم، وأن إرادة الله القديمة تُعيّن وقت حدوث الأشياء، لذا فإن عدم احتراق القطن، على سبيل المثال، ليس لعدم وجود سبب طبيعي، بل لأن الله هو الخالق الفاعل للشيء، وليس الطبيعة أو الجماد.

الوقت الحاضر هو الحقيقة: يركز الغزالي على أهمية "عش في حدود يومك"، حيث يعتبر اليوم الجديد فرصة يجب استغلالها في الطاعة، وما سواها إما ماضٍ فات أو مستقبل في حكم الغيب.

الزمن عبرة: يرى أن الزمن وسيلة لإفناء الحضارات وتبلية الخلائق، وهو فرصة لاغتنام العمر، بينما الغافل يمر عليه الزمن دون استفادة.

تعتمد رؤية الغزالي على النظرة الكلامية الأشعرية التي ترفض السببية الضرورية بين الأشياء وتجعل كل حادثة مرتبطة مباشرة بخلق الله تعالى.

يُعتبر مفهوم الزمن عند محيي الدين بن عربي جزءاً أصيلاً من رؤيته الكونية الصوفية، فهو يراه أمراً عدمياً أو "متوهماً" لا وجود عينياً مستقلاً له، بل هو "مكان سائل" ناتج عن تعاقب الحركة وتجدد الأمثال في اللوح المحفوظ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بـ "وحدة الوجود" وتجليات الحق .

ومن أهم ركائز مفهوم الزمن عند ابن عربي تلازم الزمن والمكان: يُعتبر الزمان مكاناً سائلاً، والمكان زماناً متجمداً، وكلاهما مظاهر للحق. أما الزمن بوصفه "الوقت المتجدد" فهو القياس المعتمد على دوران الأجرام (الفلك)؛ فهو ليس مطلقاً، بل نسبي، ويختفي إذا سكنت الحركة. ويعتقد ابن عربي أن الكون يتجدد في كل لحظة، والزمن هو حكاية هذا التجدد المستمر للوجود في "النفس الكلية"، وهذا ما اسماه الخلق المستمر. وقد فرّق بين أنواع الأيام، فمنها أيام أصلية (مرتبطة بالسرعة الوجودية) وأيام مشهودة، ويشير إلى "يوم الرب" و"يوم ذي المعارج" (ألف سنة/خمسون ألف سنة). أما مفهوم التجلي والزمان فيعبر عنه بظهور الوجود من خلال الكتابة المستمرة من قِبل العقل الأول في اللوح المحفوظ، وهذا هو الزمن..

ويعرّف ابن سينا الزمان بأنه "مقدار الحركة"، وهو متلازم معها فلا يُتصور وجود زمان بلا حركة. يُعد الزمن عنده مقداراً للهيئة غير القارة (الحركة)، وهو وسيلة لقياس التغير في الكون، ويُعتبر امتداداً نفسياً وفلسفياً يرتبط بوجود العالم، حيث يربط بين الحركة والمكان والزمان في فلسفته الطبيعية المشائية[1].

---

[1] المدرسة المشّائيّة هي مدرسة فلسفية يونانية قديمة أسسها أرسطو في أثينا (335 ق.م) وتعتمد المنهج العقلي الاستدلالي، سُميت بهذا الاسم نسبة إلى طريقة أرسطو في التدريس وهو يطوف برواق "اللوقيون"

ومن أبرز مفاهيم الزمن عند ابن سينا مفهوم مقياس التغير، فيعتبر أن الزمان هو مقدار الحركة من حيث هي متقدمة ومتأخرة، وهو ما يُدرك به التغير في الأشياء. ويؤكد ابن سينا على الجانب النفسي، حيث يربط بين الإحساس بالزمن والنفس، مستشهداً بـ قصة أهل الكهف لتوضيح أن إدراك الزمن يعتمد على الحركة والمحسوسات، وكيف يمكن أن يتقلص أو يتمدد إدراكنا للزمن النفسي. ويُنظر للزمن عند ابن سينا على أنه جزء لا يتجزأ من الطبيعيات وفهم الوجود، وهو مختلف عن السكون، حيث لا يوجد زمان في الكون الساكن.

ويجدر بنا هنا أن نسلط الضوء على تعريف المدرسة المشائية (أرسطو وابن سينا) للزمن بشكل عام: الزمن هو مقدار الحركة من حيث المتقدم والمتأخر، وهو لا يوجد بحد ذاته، بل هو تابع للمادة وحركتها. الزمن ليس مخلوقاً زمانياً، بل هو "مُبْدِع" يتقدم بـ"الذات" (العلية) وليس بالمدة. يعتبر الزمن مقياساً للتغير، وكل حركة في الكون مرتبطة بمحرك أول.

فيما يلي تفصيل لمفهوم الزمن عند المشائين:

الزمن والحركة: لا يوجد زمن بدون حركة، فالحركة هي التي تخلق الوعي بالزمان.

علاقة المتقدم والمتأخر: الزمن هو الطريقة التي نرتب بها الأحداث (ماضٍ، حاضر، مستقبل) بناءً على حركة الأجسام.

المشجر. ركزت على العلوم الطبيعية والمنطق والماورائيات، ونقلها علماء المسلمين (الكندي، الفارابي، ابن سينا، ابن رشد) وطوروها لتصبح ركيزة أساسية في الفلسفة الإسلامية .

الزمن ك "آن": الحاضر أو "الآن" هو النقطة الوحيدة المادية الحقيقية في الزمن، بينما الماضي والمستقبل مفهومان ذهنيان.

أزلية الزمن: يرى ابن سينا أن الزمان لا بداية له، وإلا لكان هناك زمان سابق على بداية الزمان، وهو ما يرفضه المنطق المشائي، معتبراً إياه مخلوقاً أزلياً (إبداعاً).

الزمن والروح: في الفلسفة المشائية الإسلامية، يُنظر للزمن كمرتبط بالمادة، بينما الأرواح قد تكون خارج نطاق هذا الزمن المادي.

يتميز هذا المفهوم بالمنهج العقلي الاستدلالي الصارم، حيث يتميز عن التفسيرات الكونية الأخرى بالتركيز على الفيزياء والمنطق لتفسير التغير.

تعتبر فلسفة الميتافيزيقيا وفلسفة الزمان والمكان (Philosophy of Space and Time) هما الجوهر الحقيقي لمفهوم الزمن، حيث تدرس طبيعته الأنطولوجية -هل هو حقيقي، موضوعي، أم خيالي-، ووجوده المستقل أو ارتباطه بالحركة. أبرز التصورات تشمل مذهب أرسطو (الزمن كمقدار للحركة)، مذهب كانط (الزمن كإطار ذهني)، والزمان العلائقي (المرتبط بالأحداث).

الفلسفة الأرسطية (الواقعية العلائقية): كما ذكرنا سابقاً، يعتبر أرسطو أن الزمن هو "مقدار الحركة من حيث المتقدم والمتأخر"، أي أنه لا وجود لزمن بدون حركة أو تغير.

الفلسفة الكانطية (المثالية المتعالية): يرى كانط أن الزمن ليس شيئاً خارجياً، بل هو "صورة قبلية" للحدس، أي إطار ذهني يفرضه العقل لتنظيم التجربة، وهو وجود حقيقي في وعينا.

الفلسفة الميتافيزيقية الحديثة: تركز على "جوهرية الزمان" (مثل توجهات فخر الدين الرازي في مراحل متأخرة)، وتناقش هل الزمان موجود بشكل مستقل عن العقل (موضوعي) أم هو مجرد تركيب خيالي.

الفلسفة الوجودية: تركز على أن الزمان وجود حقيقي مرتبط بالصيرورة، فالزمان يُهلك الأشياء كطريقة لصيرورتها ووجودها.

الزمان في فلسفة العلم والفيزياء: يربط بين حقيقة الزمن في الفيزياء (كالنظرية النسبية التي تعتبره بعداً رابعاً) وبين جوهره الفلسفي كأداة لترتيب الأحداث.

باختصار، تعتبر دراسة "فلسفة الزمن" كجزء من الميتافيزيقيا هي الجوهر الأساسي الذي يبحث في "حقيقة" الزمن من زوايا مختلفة: أرسطية (حركية)، كانطية (ذهنية)، أو علائقية (مرتبطة بالوجود).

من أهم التعريفات مفهوم الزمن عند الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون، فالزمن مرادفاً لـ "الديمومة(La durée) "، وهو الزمن المعيش والداخلي الذي يتدفق باستمرار ولا يقبل التجزئة، بخلاف الزمن العلمي المقاس بالساعات والذي اعتبره برغسون زماناً مكانياً ووهمياً. ركز برغسون على الطابع النوعي للزمن، معتبراً إياه تدفقاً حيوياً ممتزجاً بالوعي .

أبرز نقاط فلسفة برغسون للزمن:

الديمومة :(La durée) إن الزمن الحقيقي ليس مجموع لحظات منفصلة، بل هو تدفق مستمر، متصل، ومتداخل حيث الماضي يذوب في الحاضر.

نقد الوقت العلمي: يجادل برغسون بأن الساعات تقيس "مكانًا" لا زمانًا، فهي تقسم الوقت إلى لحظات منفصلة (ثواني ودقائق) تحول الزمن إلى خط مكاني، وهو ما يُعد مسخًا لحقيقته المتدفقة.

الزمن الشخصي (الذاتي): الديمومة شخصية تختلف إيقاعاتها من فرد لآخر، وهي مرتبطة بوعينا وحالاتنا النفسية، بينما الزمن العلمي موحد وميكانيكي.

الذاكرة والماضي: يعتبر برغسون الذاكرة وسيلة بقاء الماضي في الحاضر، حيث الزمان يتدفق بصفته كلاً لا يتجزأ، وليس لحظات منعزلة.

الحدس: يتم إدراك الديمومة من خلال "الحدس" المباشر، وليس عبر التحليل العقلي الذي يجمد الحركة .

تضمنت فلسفة برغسون مواجهة مع آينشتاين، حيث اعتبر برغسون أن "زمن آينشتاين" هو وقت الساعات (فيزياء)، بينما زمنه هو وقت الوعي والحياة (ميتافيزيقا).

يُعتبر مفهوم الزمن عند القديس أوغسطينوس (خاصة في كتابه "الاعترافات") نظرة ثورية ذاتية، حيث الزمن مخلوقًا إلهيًا لا يوجد "قبل" الخلق، وهو مجرد "امتداد" للنفس البشرية (Distentio animi) وليس حقيقة مادية خارجية. فالماضي والمستقبل غير موجودين، والزمن يتركز في "الحاضر" الذي ندركه عبر الذاكرة، الانتباه، والتوقع.

أبرز أفكار أوغسطين عن الزمن:

الزمن كذاتية نفسية: يرى أوغسطين أن الزمن قياس لما ندركه في وعينا، وهو انطباع يتركه الماضي (الذاكرة) والمستقبل (التوقع) في الحاضر.

خلق الزمن: الزمن مخلوق مع الكون، ولا يمكن أن يكون الله قد خلق شيئًا "قبل" الزمان لأن الله خارج الزمن في الأزلية.

أزلية الله مقابل زمنية المخلوقات: يرى أوغسطين أن الزمن المتغير هو سمة للمخلوقات، بينما الله هو "الآن" الدائم والأبدي.

عجز التعريف: اشتهرت عبارته: "ما هو الزمن؟ إذا لم يسألني أحد فأنا أعلم، وإذا رغبت أن أشرحه لسائل ما، فأنا لا أعلم".

ربط أوغسطين بين الزمن وتاريخ الخلاص، حيث يتحرك الزمن نحو هدف نهائي وهو غلبة المدينة الإلهية على الأرضية.

في فلسفة مارتن هايدغر، لا سيما في كتابه "الوجود والزمان" (1927)، يعدّ الزمن شرطاً أساسياً للكينونة (Dasein) وليس مجرد قياس فيزيائي. يربط هايدغر الوجود الإنساني بـ "التزمن" (Temporality) حيث الماضي مرجعية، والحاضر انخراط، والمستقبل إمكانية، معتبراً أن فهم الوجود يتطلب إدراك تناهي الإنسان وفنائه.

أبرز أبعاد الزمن عند هايدغر:

الوجود والزمان (Sein und Zeit): يعتبر عمله الجوهري الذي يحلل فيه الوجود البشري، معتبراً أن "الوجود" يترابط بشكل وثيق مع مفهوم الوقت، حيث الوجود–في–العالم هو الوجود الزماني.

التزمن (Time-structure/Temporalization): الزمن ليس خارجياً، بل هو هيكل داخلي للدازاين (Dasein) (الوجود هناك)[2] الذي يَتَزَمَّنْ في وجوده، أي أن الإنسان هو نفسه زمان.

---

[2] الدازاين (Dasein) هو مفهوم مركزي في فلسفة مارتن هايدغر الوجودية، يعني حرفياً "الوجود هنا" أو "الحضور". يشير إلى الكائن الإنساني كوجود واعٍ، يتساءل عن كينونته، ويشكل معناه من خلال الانخراط في العالم والزمان. لا يعتبر الدازاين مجرد كائن بيولوجي، بل هو وجود "في العالم" يمتلك إمكانية الأصالة أو الـ "لا-أصالة".

الزمانية المتناهية: يؤكد هايدغر أن "الزمان أصلاً متناهٍ" (finite)، وأن الوعي بهذا التناهي (الموت) هو ما يمنح الوجود معناه الحقيقي والأصيل.

الأبعاد الثلاثة (الوجود كزمانية):

المستقبل (الآتي): يمثل الإمكانية والانفتاح على ما سيكون.

الماضي (القديم): ليس مجرد انقضاء، بل هو "المرجعية" التي يبني عليها الإنسان هويته.

الحاضر (الآني): ليس لحظة جامدة، بل هو مجال الفعل والانخراط في العالم.

لقد أحدث هايدغر ثورة بفلسفته، محولاً سؤال الوجود من سؤال ميتافيزيقي تجريدي إلى سؤال وجودي مرتبط بالزمان والواقع المعيش.

أحدث ألبرت آينشتاين ثورة في مفهوم الزمن عبر نظريتيه النسبيتين (الخاصة والعامة)، مُحولاً إياه من مقدار مطلق إلى بُعد رابع نسبي يشتبك مع المكان في نسيج واحد يسمى "الزمكان". الزمن لدى آينشتاين يتباطأ مع السرعات العالية (تمدد الزمن) ويشوهه الجاذبية، فلا توجد "آنية" مطلقة للكون، بل زمن متغير يعتمد على المراقب وسرعته.

أبرز مفاهيم الزمن عند آينشتاين:

الزمكان (Spacetime): دمج آينشتاين الأبعاد المكانية الثلاثة مع الزمن في كيان واحد رباعي الأبعاد، حيث لا يمكن فصل المكان عن الزمان.

تمدد الزمن (Time Dilation): يتباطأ الزمن بالنسبة لجسم يتحرك بسرعة قريبة من سرعة الضوء مقارنة بآخر ساكن.

النسبية العامة والجاذبية: الأجسام الضخمة (مثل النجوم والكواكب) تشوه نسيج الزمكان، ويتباطأ الزمن أكثر كلما زادت كتلة الجسم أو الاقتراب من جاذبية قوية.

سرعة الضوء المطلقة: أدى ثبات سرعة الضوء إلى جعل الزمن والمكان مقادير نسبية وليست مطلقة كما كان يعتقد سابقاً.

رفض الزمن المطلق: لا يوجد "الآن" موحد للكون كله؛ فما نراه من كواكب بعيدة هو ماضيها وليس حاضرها.

هذا المفهوم جعل الزمن مقداراً مرناً يتقلص ويتمدد، متأثراً بالسرعة والجاذبية.

في القرآن الكريم

يُعد الزمن في القرآن الكريم مخلوقاً إلهياً، ونعمة كبرى، ووعاءً للأعمال وميداناً للاختبار، لا مجرد وقت يمر .يربط القرآن بين الظواهر الفلكية (الشمس، القمر، الليل، النهار) وبين الزمن، ويركز على قيمته، ويقسم به لعظمته، ويشير إلى أهمية استغلاله، مع التفرقة بين زمن الدنيا المحدود وزمن الآخرة الأبدي .

دلالات ومفاهيم الزمن في القرآن الكريم:

الزمن كآية إلهية :يعتبر تعاقب الليل والنهار آية من آيات الله الكونية الدالة على قدرته وحكمته (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) ابراهيم 33-34

الزمن ميدان للاختبار :الحياة الدنيا هي فترة زمنية محددة وميدان للابتلاء والعمل، وتتحدد فيها مصائر البشر. (ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلاًۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ) الملك 2. (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًاۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الأعراف: 168

الزمن مخلوق ومقدر :الزمن خاضع تماماً لإرادة الله، وكل حركة وتغيير يحددان الزمن. (وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَة لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورا) الفرقان: 62. ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: 40

القسم بالزمن :أقسم الله سبحانه وتعالى بأجزاء من الزمن (مثل: والعصر، والليل، والضحى، والفجر) للتأكيد على قدسيته وأهميته.(وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ) الضحى: 1-3

الألفاظ الدالة على الزمن :لم يستخدم القرآن لفظ "الزمن" كثيراً، بل استخدم ألفاظاً تدل على الوقت مثل (يوم، ساعة، لحظة، برهة، حين، الأجل، الدهر). ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ سورة الجاثية: 24

الزمن الدنيا والآخرة :زمن الدنيا محدود، بينما الآخرة هي دار البقاء والخلود، حيث يختلف إدراك الزمن وحسابه.

3. الخلق: من العدم أم من الإمكان؟

من الشائع في الخطاب الكلامي القول إن الله خلق العالم "من العدم". غير أن التأمل في النص القرآني يكشف أن مفهوم "العدم" يكاد يكون غائبًا بوصفه مفهومًا

فلسفيًا صريحًا. فالقرآن يستخدم: الخلق، الإيجاد، الإنشاء، الإبداع، الأمر (كن فيكون) ولا يستخدم مصطلح "العدم" كمقابل للوجود.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إنكم مبعوثون مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ هود: 7

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت: 11.

﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ النازعات: 27 – 33

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.

وهذا يفتح أفقًا مختلفًا لفهم الخلق، لا بوصفه حدثًا وقع في لحظة زمنية ثم انتهى، بل بوصفه فعلًا مستمرًا وتجددًا دائمًا للوجود. فالخلق ليس انتقالًا من "لا شيء" إلى "شيء"، بل انتقال من الإمكان إلى التعيّن، ومن العلم إلى الظهور، ومن الكلمة إلى الصورة.

4. العلم الأزلي والتجلّي الزمني

إذا كان الله سرمديًا، وكان علمه محيطًا بكل شيء، فإن الوجود كله حاضر في علمه حضورًا غير زماني. غير أن هذا الحضور لا يعني أن الأشياء موجودة بالفعل في الزمان، بل أنها معلومة قبل أن تُوجَد. وهنا يظهر الفرق بين: الوجود في العلم والوجود في الزمان، فالشيء قد يكون أزليًا في العلم، حادثًا في الوجود.

علم الله ليس "توقعًا" داخل الزمن (لأن التوقع زمنٌ أصلاً)، بل إحاطة غير زمانية. وإحاطة العلم لا تُساوي بالضرورة "إجبار الإرادة" عند الإنسان؛ لأن الإلزام شيء، وانكشاف المعلوم في علمٍ محيط شيء آخر. "نحن نتعاقب" لأن وعينا محدود ويقرأ الوجود من الداخل؛ و"هو يحضر" لأن حضوره ليس داخل التعاقب أصلاً.

وهذا التفريق يحررنا من التعارض الظاهري بين الأزلي والزمني. فالزمن لا يلغي الأزل، بل هو صورة من صور التجلّي داخل عالم الخلق. (لا يصح أن يتساوى الحضور في علم الله منذ الأزل مع العدم!).

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ الرعد 8 – 11

5. الزمان والبعث والآخرة

تتغير طبيعة الزمان جذريًا في الخطاب القرآني عند الحديث عن الآخرة:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ الأنبياء: 104

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ 14:48

الزمان هنا ليس زمنًا فيزيائيًا مألوفًا، بل زمن وجودي مختلف. فطيّ السماء ليس نهاية مكانية فقط، بل نهاية نمط من أنماط الوجود، وبداية نمط آخر. وهذا يؤكد أن الزمان ليس مطلقًا، بل نسبيًا، مرتبطًا بطبيعة العالم الذي يسري فيه، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

6. نحو رؤية تركيبية

من خلال هذا التفريق بين السرمدي والزمني، والعلم والتجلّي، والإمكان والتعيّن، يمكننا أن نفهم الخلق لا بوصفه قطيعة بين الله والعالم، ولا بوصفه امتدادًا مباشرًا للذات الإلهية، بل بوصفه علاقة مستمرة بين المطلق والنسبي.

فالوجود قائم بالله، مشمول بعلمه متجلٍّ بأمره، متغير في صوره، وثابت في أصله. وهذا الفهم يفتح الباب أمام سؤال الوعي الكوني :إذا كان الوجود قائمًا بالله، ومشمولًا بعلمه، ومتجددًا بأمره، فهل هو وجود صامت، أم وجود ذو معنى؟ وهل يقتصر الإدراك على الإنسان وحده، أم أن للكون نفسه نمطًا من الحضور والإجابة؟

هذه الأسئلة ستقودنا في الفصل التالي إلى مفهوم شمولية الوعي، وإلى إعادة التفكير في موقع الإنسان داخل كون ليس مادة صماء، بل مجالًا حيًّا للعلاقة بين الخالق والمخلوق.

خاتمة الفصل

ليس المقصود من هذا الفصل حسم مسألة الخلق أو الزمان، بل وضع إطار مفهومي يحرر النقاش من الخلط بين ما هو سرمدي وما هو زمني. فحين نفهم أن الله لا يقع داخل الزمن، وأن الخلق ليس مجرد لحظة ماضية، يصبح ممكناً التفكير في القرآن، والوعي، والوجود، بوصفها تجليات لمعنى أوسع من مقولات البداية والنهاية.

ومن هذا الأفق يبدأ السؤال الحقيقي: هل الوعي ظاهرة محلية في الإنسان، أم خاصية كونية متدرجة في الوجود كله؟ هذا ما سنبحثه في الفصل القادم.

الفصل الثاني

شمولية الوعي: من الإنسان إلى الوجود

الفصل الثاني

شمولية الوعي: من الإنسان إلى الوجود

في هذا الفصل، استعرت مفهوم "اللوغوس" –كما ظهر في الفلسفة اليونانية والرواقية – بوصفه اسمًا لفكرةٍ بسيطة: أن العالم ليس فوضى صمّاء، بل قابل للفهم، وأن وراء الظواهر انتظامًا يجعل المعنى ممكنًا. غير أنّ هذا الكتاب لا يتبنّى اللوغوس كمرجعيةٍ بديلة، بل يستخدمه كمرآةٍ مقارنة، ثم يُعيده إلى معجمه القرآني: إلى "الأمر" الذي به يكون الوجود، وإلى "الحق" الذي به يستقيم، وإلى "الميزان" الذي به تتوازن العلاقات، وإلى "الكتاب" الذي يقرأ الوجود بوصفه آيات. فإذا كان اللوغوس في الفلسفة "عقلًا كونيًا" ينسج النظام، فإن القرآن يقدّم نظامًا أعمق: نظامًا لا يكتفي بالانتظام الرياضي، بل يضيف البعد الدلالي—أي كون العالم "محلّ خطاب" وحضور، لا مجرد مسرح للحركة.

يمثل اللوغوس والوعي جانبين أساسيين مترابطين من جوانب الواقع، فاللوغوس هو المبدأ الكوني الموضوعي للبنية العقلانية والنظام والمعنى، بينما الوعي هو الإدراك الذاتي الداخلي التجريبي الذي يدرك هذه البنية أو يجسدها. غالبًا ما يُنظر إلى اللوغوس على أنه الذكاء الإلهي أو الكوني الذي يوجه الطبيعة، في حين أن الوعي هو الوظيفة الشخصية الفاعلة الشاهدة.

اللوغوس: بنية الواقع، يشير إلى "المبدأ العقلاني" الذي يحرك الكون وينظمه، وهو تعريف مشتق من الفلسفة اليونانية (وخاصة الرواقية). غالبًا ما يُساوى اللوغوس بـ"الكلمة"، والنظام الكوني، والمنطق الكامن الذي يجعل الكون قابلاً للفهم. وهو القوة الفاعلة التي تفصل وتُهيكل، مما يسمح بالتمييز والمنطق والمعنى. وفي علم النفس، يرتبط اللوغوس بالذكورة، أو "الشمسية"، أو التفكير الواعي.

الوعي: التجربة الذاتية الداخلية للوجود والملاحظة. وهو وظيفة شخصية، أو "شاهد داخلي"، تُمكّننا من إدراك البيئة وتفسيرها والتكيف معها، ويعمل كحلقة

متكررة قادرة على تتبع الترابط وتنظيم البنية. بينما يُمثّل اللوغوس الإطار، فإن الوعي هو العملية التي من خلالها يُحسّ بهذا الإطار ويُفهم.

الفروق والتقاطعات الرئيسية بين اللوغس والوعي تتخلص في توصيف الموضوعي مقابل الذاتي، فاللوغوس هو النظام الموضوعي؛ والوعي هو التجربة الذاتية. ثم يأتي تعرف "التفاعل البنيوي" حيث يستخدم الوعي اللوغوس أو يعمل معه لفهم العالم، مما يوحي بأنهما وجهان لعملة واحدة. في بعض الآراء، يتكامل اللوغس والوعي لينتج أعلى أشكال الوعي من موازنة اللوغوس المنظم والعقلاني مع الإيروس (الطاقة العاطفية والترابطية). من المنظور التطوري، تنظر بعض المنظورات الحديثة إلى اللوغوس باعتباره "الشاهد المتكرر" الذي يسمح للنظام الواعي بالتكيف والاستمرار.

باختصار، يوفر اللوغوس قواعد اللعبة، بينما يمثل الوعي اللاعب الذي يتنقل فيها.

وعندما التحدث عن الحلولية الكمونية (شمولية الوعي) Pantheism، ينتقل الموضوع إلى التقاء اللوغوس ووحدة الوجود والوعي، وهذا الالتقاء رؤيةً للعالم لا يقتصر فيها الكون على المادة فحسب، بل هو نظام ذكي متماسك ومترابط. يفترض هذا الإطار الفلسفي أن الكون كيان إلهي حي (وحدة الوجود)، مُنظّم بمبدأ عقلاني أو عقل كوني (اللوغوس)، حيث يُعدّ الوعي البشري جزءًا أو تعبيرًا عن هذا الوعي الكوني. وقد اعتقد الرواقيون أن "الكل هو الله"، أي أن الله والكون واحد. فالحقيقة نظام واحد متكامل، والكون عاقل. فاللوغوس هو "روح" الوجود، قوة إلهية تتخلل كل شيء وتُسيّره، وبالتالي وحدة الوجود. وهذه الوحدة ليست مجرد قانون ثابت، بل قوة فاعلة محركة (كالنار أو النفس) تدفع النمو وتربط جميع أجزاء الكون.

ومن هنا يكون الحلول، على عكس الآلهة الشخصية المتعالية، فإن إله وحدة الوجود غير شخصي ومتأصل تمامًا في العالم، ومترابط معه، ولأن كل الأشياء جزء من هذا النظام الواحد، فإن جميع الأشياء هي تجليات مترابطة للإله.

الوعي كوعي كوني وفردي

الوعي الكوني: يرى العديد من أتباع وحدة الوجود والرواقيين أن الكون ليس "مادة جامدة"، بل كيان واعٍ ومدرك.

الإنسانية كوعي ذاتي: من أهم المنظورات أن الإنسان هو "الكون الواعي بذاته". يُنظر إلى الوعي الفردي على أنه جزء أو "فرع" من العقل الكوني (اللوغوس).

وحدة الوعي/وحدة الوجود: تتوافق بعض وجهات النظر الوحدوية مع وحدة الوعي، وهي فكرة أن الوعي خاصية أساسية للمادة، وأن الكون يعمل ككيان واعٍ "من أعلى إلى أسفل".

التكامل: الكون الحي المفكر

المنظور الرواقي: رأى ماركوس أوريليوس وغيره من الرواقيين أن العقل البشري جزء من العقل الكوني (زيوس/اللوغوس). هدفنا هو مواءمة وعينا الفردي مع التدفق العقلاني للكون.

التوليف الحديث: غالبًا ما يمتزج التوحيد الحديث مع النزعة الطبيعية العلمية، حيث يُنظر إلى "اللوغوس" على أنه النظام المتأصل الذي تم اكتشافه من خلال العلم (الرياضيات، الفيزياء)، والوعي على أنه خاصية ناشئة للكون المعقد والمنظم.

التشبيه الرئيسي: غالبًا ما تُوصف العلاقة بأننا أشبه بالخلايا العصبية في جسم واعٍ عملاق (الكون). باختصار، يصف هذا الثالوث كونًا مكتفيًا بذاته، وعقلانيًا (اللوغوس)، وإلهيًا (وحدة الوجود)، وواعيًا (الوعي)، حيث يجد الفرد المعنى من خلال إدراك دوره داخل الكل.

هذا الكتاب يتبنى فكرة "وحدة الوجود الإلهي" (شمولية الوعي بدون الحلولية)، باعتبار أن الله منزه عن الكون والخلق، لكنه منبع الوعي والعلم والإدراك. وهذا الرأي أقرب إلى Panentheism منه إلى وحدة الوجود Pantheism/Monism. وبحثنا هنا يتمحور حول دلائل شمولية الوعي للوجود في الآيات القرآنية.

{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} سورة الحجر: 29.

{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} السجدة: 9.

{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} التحريم: 12.

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ} الأنبياء: 91.

(أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ) آل عمران 49.

(وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي) المائدة 110

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الإسراء: 44

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي

أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) البقرة 31-33.

(إِقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ) العلق 1-5

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل: 78 (الصفحة البيضاء Blank Slate).

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: 30

ظلّ مفهوم الوعي عبر التاريخ مرتبطًا بالإنسان بوصفه الكائن العاقل المدرك القادر على التفكير والتأمل. وقد ترسّخ هذا التصور في الفلسفة والعلوم الحديثة حتى أصبح الوعي يُعرَّف غالبًا بوصفه نتاجًا للدماغ أو وظيفة عليا للجهاز العصبي. غير أن هذا الحصر للوعي في الإنسان وحده يطرح إشكاليات عميقة حين نقرأ النص القرآني قراءة شاملة، إذ نجد أن القرآن ينسب أفعالًا معرفية وإرادية إلى موجودات غير بشرية: إلى السماء والأرض، إلى الجبال والشجر، إلى الطير والدواب، بل إلى الكون كله.

فهل نحن أمام لغة استعارة شعرية؟ أم أمام تصور مختلف للوعي بوصفه خاصية وجودية لا تختزل في العقل البشري؟

ما هو الوعي وما دور الدماغ والقلب؟

لم يذكر القرآن الكريم "الدماغ" بلفظه المادي الصريح، ولا أعرف لماذا لم يشير القرآن اليه كمركز لنشاط الوعي والتفكير سوى التفسيرات التقليدية التي تتلخص في أن الخطاب القرآني يركز على الوظائف المعنوية والإدراكية (كالتفكر، التعقل،

الإيمان) التي تنسب عادة إلى "القلب" في السياق القرآني، معتبراً إياه مركز العقل والروح والتدبر، وليس مجرد عضو لضخ الدم. كما أن القرآن يخاطب الوجدان والبصيرة، والقلب هو محل الاطمئنان والهدى. ويمكن تلخيص الأسباب في النقاط التالية:

القلب هو محل التعقل: يُشير القرآن إلى أن "التعقل" يأتي من القلب، كما في قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} (سورة الحج: 46).

الوظيفة المعنوية مقابل المادية: القرآن يركز على القلب كمصدر للعواطف والإيمان (الإيمان في القلب)، بينما الدماغ هو جهاز مادي مسؤول عن الوظائف الفيزيائية، مما يجعل القلب أكثر تعبيراً عن الجانب الروحي والإيماني. ويُشير القلب في القرآن إلى مركز "العقل" بمعناه الشامل الذي يجمع بين التفكير البشري، البصيرة، والروح، وليس مجرد العقل المنطقي المجرد.

منشأ العقل في القلب: يذكر بعض المفسرين (كابن القيم) أن منشأ العقل يكون في القلب، وثمرته في الرأس (الدماغ)، مما يوضح تكاملاً وظيفياً. وبذلك، استخدم القرآن "القلب" كرمز للإدراك، والوعي، والإيمان، والعاطفة، وهو ما يتجاوز وظيفة الدماغ البيولوجية البحتة.

تباينت نظرة القدماء للدماغ؛ فبينما اعتبره المصريون القدماء عضواً زائداً يُستأصل أثناء التحنيط (يُسَيّل عبر الأنف) لكون القلب مركز العاطفة والذكاء، اعتبره فلاسفة إغريق مثل أرسطو مجرد "مشعاع" لتبريد الدم، قبل أن يصفه جالينوس بمركز التفكير، مع إشارات مبكرة في بردية إدوين سميث الطبية.

إليكم تفاصيل نظرة الحضارات القديمة للدماغ:

مصر القديمة: لم يكن للدماغ أهمية، وكان يُستأصل عبر الأنف باستخدام خطاف، أو عبر "تسييل الدماغ" وإزالته لتحنيط الجسم، نظرًا للاعتقاد بأن القلب هو مركز الذكاء والعاطفة.

الإغريق والرومان: تطورت نظرة اليونان القدماء للدماغ من اعتباره عضواً ثانوياً إلى مركز للإدراك، حيث اقترح ألكمايون الكروتوني (القرن الـ 5 ق.م) أن الدماغ هو مركز الذكاء والوعي، وأنه متصل بأطراف الجسم عبر قنوات (poroi). شهدت الفترة الهلنستية تطوراً بفضل هيروفيلوس الخلقدوني (القرن 3 ق.م) الذي ميز بين المخ والمخيخ والبطينين، بينما أجرى إيراسيستراتوس السيوسي (القرن 3 ق.م) دراسات على الوظائف الدماغية والأعصاب، وربط بين تعقيد الدماغ والذكاء.، ورسخ جالينوس (170 م)، معتمداً على التشريح الإغريقي، الاستنتاج بأن المخ (الناعم) يعالج الحواس، بينما المخيخ (الكثيف) يتحكم في العضلات، ووضع نظرية "الأرواح الحيوانية" في البطينين.

على عكس ألكمايون، اعتقد أرسطو (335 ق.م) بأن القلب هو مركز الإحساس والذكاء، وأن الدماغ يعمل فقط كمشعاع لتبريد حرارة القلب وتبريد الدم، وهو ما أثر على الفهم لفترة طويلة.

في الثقافة العربية الإسلامية، أحدث العلماء العرب والمسلمون نقلة نوعية في فهم الدماغ، حيث انتقلوا به من مجرد "حشو قحفي" أو عضو ثانوي إلى مركز رئيسي للإدراك والذكاء والوظائف العصبية. طوّروا تشريح الدماغ، ووصفوا الأمراض العصبية والنفسية، وساهموا في علم الأدوية المخدرة وتخدير الجراحة، متجاوزين نظريات الإغريق القديمة.

أكد ابن سينا، في كتابه "القانون في الطب"، أن الدماغ هو مركز الجهاز العصبي ومصدر الحواس والحركة، مقسماً إياه تشريحياً إلى ثلاثة فصوص أو مناطق رئيسية، ترتبط كل منها بوظائف إدراكية مختلفة وهي المقدمة، وتشتمل على "الحس المشترك" و"الخيال"، حيث تُجمع المحسوسات وتُخزن، والوسط وهو يختص بـ "التفكير" و"الفكرة" (عندما يتصرف العقل في الصور المخزنة)، والمؤخرة المخصصة لـ "الذاكرة" و"الحفظ." ووصف الأغشية الدماغية والبطينات، معتبراً الدماغ عضواً بارداً ورطباً، وحجر الأساس في الوظائف النفسية والعقلية، مما جعله سبّاقاً في ربط التشريح بالوظائف الفسيولوجية، حيث ناقش أمراضاً مثل السكتة، الصرع، الفالج، والنسيان، مرجعاً إياها إلى اختلال توازن الأخلاط أو انضغاط البطينات .

تميزت رؤية ابن سينا بالجمع بين الملاحظة التشريحية الدقيقة والفلسفة النفسية، مما جعل الدماغ هو المدير الأعلى لأفعال الإنسان النفسية والجسمانية.

أما ابن النفيس فقد أجرى أول تشريح معروف لدماغ الإنسان، مصححاً نظريات جالينوس وابن سينا الخاطئة.

وقدم ابن زهر (1072–1162م) وصفاً دقيقاً للاضطرابات العصبية، بما في ذلك التهاب الوريد الخثاري داخل الجمجمة وأورام الخلايا الجرثومية المنصفية.

وأشار ابن رشد (1126-1198م) إلى وجود مرض باركنسون وخصائص مستقبلات الشبكية، بينما كتب موسى بن ميمون عن الاضطرابات العصبية والنفسية وداء الكلب.

دار نقاش فقهي وطبي بين كون العقل في القلب (كما أشار البعض استناداً للقرآن) أو في الدماغ (كقول أحمد بن حنبل "العقل في الرأس")، وتم ربط "خفة الرأس/الدماغ" بالذكاء والعمليات العقلية.

يمكن التمييز مبدئيًا بين مستويين من الوعي:

الوعي الإنساني المفهومي :وهو الوعي المرتبط باللغة، والتفكير المجرد، والذاكرة، والتخطيط، والحكم الأخلاقي.

الوعي الوجودي أو الإدراكي :وهو نمط من الحضور والاستجابة والمعنى، لا يشترط التفكير المفهومي، بل يقوم على علاقة الكائن بما يحيط به وبمصدر وجوده.

هذا التفريق يسمح بفهم الوعي لا بوصفه حالة ثنائية (يوجد أو لا يوجد)، بل بوصفه طيفًا متدرجًا تختلف درجاته باختلاف الكائنات. فالإنسان ليس الكائن الوحيد الذي "يحضر" في الوجود، بل هو الكائن الذي يعي حضوره ويفكر فيه.

الوعي كخاصية وجودية لا امتيازًا بشريًا

حين ينسب القرآن التسبيح والسجود والطاعة إلى السماوات والأرض وسائر المخلوقات، فإنه لا يتحدث عن سلوك آلي أعمى، بل عن علاقة وجودية واعية بالله:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت: 11

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ النحل: 48

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ سورة الأحزاب: 72

هذه الآيات تفترض إدراكًا، وعلاقة، ومعرفة، واستجابة. وإن كان هذا الإدراك لا يشبه الإدراك الإنساني، فإنه لا يُنفى لعدم مشابهته له. فالاختلاف في الدرجة لا يعني نفي الأصل.

بين شمولية الوعي ووحدة الوجود

يُثار هنا اعتراض شائع: هل القول بـ "وحدة الوجود الإلهي" (شمولية الوعي) يعني أن الكون هو الله؟ أو أن الله هو الكون؟ الجواب: لا.

التمييز الجوهري هو بين مفهومين مختلفين:

Pantheism/Monism كل شيء هو الله

و Panentheism كل شيء في الله دون أن يكون هو الله

فالوعي الكوني لا يعني حلول الذات الإلهية في الموجودات، ولا اتحادها بها، بل يعني أن الموجودات قائمة بالله، مشمولة بعلمه، متعلقة بأمره، وحاضرة أمامه. إن الوعي هنا ليس ذاتًا مستقلة، بل أثرًا من آثار العلاقة بين الخالق والمخلوق.

ويمكن تصور الوعي بوصفه طبقات أو مستويات: وعي الإنسان: تفكير، لغة، تأمل، اختيار. وعي الحيوان: إدراك، خوف، رغبة، تعلّم. وعي النبات: استجابة، نمو، توجّه. وعي الجماد: انتظام، طاعة، تسبيح. ولا يعني ذلك التسوية بين هذه المستويات، بل الاعتراف بأن الوجود ليس صامتًا ولا محايدًا، بل يحمل نمطًا من الحضور أمام الله.

إن القول بأن الوجود "مشمول بالوعي" لا يعني أنّ الموجودات تملك عقلًا إنسانيًا، ولا أنّ الكون ذاتٌ نفسية واحدة، ولا أنّ الخالق يذوب في الخلق. المقصود هنا أدقّ: أنّ القرآن يصف الكون بوصفه داخل علاقة—علاقة معرفة واستجابة وإذعان—تتجاوز الآلية العمياء. فالجبال لا "تفكر" كإنسان، لكنها ليست خارج المعنى؛ والنجم لا "ينطق" بلساننا، لكنه ليس خارج التسبيح. ومعيار هذا الكتاب هو أن اختلاف كيفيات الإدراك لا يبرّر نفي أصل الإدراك؛ لأن نفيه لا يصدر من النص، بل من افتراض فلسفيّ مسبق حصر الوعي في القشرة الدماغية وحدها. وبذلك تصبح شمولية الوعي هنا نتيجةً لأنطولوجيا قرآنية ترى العالم قائمًا بالله—لا هو الله—ومحاطًا بعلمٍ وإرادةٍ وأمرٍ يمنح الوجود طابع "الحضور" لا طابع "الصمت".

الوعي والمعنى في الكون

إذا كان الوجود كله قائمًا بالله، فإن الكون لا يكون مجرد مادة متحركة، بل يصبح مجالًا للمعنى. فالقوانين الطبيعية لا تُقرأ فقط بوصفها علاقات رياضية، بل بوصفها انتظامًا يدل على حكمة. وهنا يلتقي سؤال الوعي بسؤال الغاية: هل الكون مجرد مصادفة عمياء؟ أم بنية ذات دلالة؟

القرآن يجيب عن هذا السؤال بطريقة غير اختزالية:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾

فالآية ليست مجرد ظاهرة فيزيائية، بل علامة ذات معنى.

شمولية الوعي والعلم الحديث

لم يعد سؤال الوعي محصورًا في الفلسفة والدين، بل أصبح محورًا في الفيزياء العصبية والكوزمولوجيا وفلسفة العقل. وقد ظهرت اتجاهات حديثة ترى أن الوعي ليس حادثًا طارئًا في الكون، بل جزء من بنيته العميقة، كما في أطروحات شمولية الوعي (Panpsychism)

غير أن هذا الكتاب لا يتبنى هذه النظريات بوصفها حقائق نهائية، بل بوصفها إشارات إلى أن اختزال الوعي في الدماغ وحده لم يعد كافيًا لتفسير ظاهرة المعنى والتجربة الذاتية (qualia) .

هل الوعي جزء لا يتجزأ من نسيج الكون؟ تشير نظرية "وحدة الوجود" إلى أن الوعي جانب أساسي من جوانب الواقع. أدرك غاليليو، قبل أكثر من 400 عام،

أنه بينما تخضع العديد من الظواهر لقوانين رياضية، فإن صفات مثل اللون والمذاق لا وجود لها إلا في الوعي. يفسر العلم الحديث الآليات الفيزيائية، لكنه يعجز عن تفسير التجارب الذاتية، وهو ما يُعرف بـ "المعضلة الصعبة" للوعي.

شهدت السنوات الأخيرة ندوات ومؤتمرات لمناقشة ما إذا كان الوعي سمة أساسية من سمات الواقع، كالكتلة أو الشحنة. وقد حظيت هذه الفكرة، التي أيدها مفكرون من أمثال أفلاطون وبرتراند راسل، باهتمام متجدد، لا سيما بعد صدور كتاب فيليب جوف "خطأ غاليليو" (Galileo's Error, Philip Goff, 2019) الذي أعاد إحياء النقاش حول بدائل المادية في تفسير الوعي".

تقدم نظرية وحدة الوجود تفسيرًا بديلًا لكيفية نشوء العقول من المادة، إذ تشير إلى أن الوعي كان موجودًا دائمًا.

مع ذلك، ينظر التيار السائد في العلوم والفلسفة عادةً إلى الوعي على أنه ينبثق من أنظمة معقدة كالدماغ. يؤيد معظم الفلاسفة الأكاديميين هذا المنظور المادي، بينما يفضل البعض الآخر بدائل أخرى كنظرية وحدة الوجود. يجادل النقاد بأن مذهب وحدة الوعي لا يُفسر كيفية اندماج أشكال الوعي البسيطة لتكوين أشكال معقدة، كما أنه لا يُقدم فرضيات قابلة للاختبار.

ولا يزال الجدل قائمًا، إذ يقترح البعض أن الكون نفسه واعٍ، أو أن الدماغ يستخدم الوعي بدلًا من إنتاجه. ويشير آخرون إلى أن الوعي قدَ يكون مرتبطًا بكائنات تتجاوز حدود المكان والزمان. وبينما تُشكك هذه الأفكار في الآراء التقليدية، تبقى المادية هي السائدة نظرًا لدعمها التجريبي.

الحجج الرئيسية في المؤتمرات والمناقشات في السنوات الأخيرة:

1. وحدة الوجود: الوعي كعنصر أساسي

تقترح نظرية وحدة الوجود أن الوعي سمة أساسية للواقع، كالكتلة أو الشحنة الكهربائية. لهذه الفكرة جذور قديمة، وقد أُعيد إحياؤها في نقاشات فلسفية حديثة، لا سيما من قِبل فيليب جوف.

2. معضلة الوعي الصعبة

يُفسر العلم الحديث الظواهر الفيزيائية، لكنه يُعاني في تفسير التجارب الذاتية (مثل احمرار غروب الشمس، ومرارة الليمون). يُعرف هذا التحدي بـ "معضلة الوعي الصعبة"، كما وصفها ديفيد تشالمرز.

3. المادية مقابل وحدة الوجود

الرأي السائد في العلم والفلسفة هو المادية: ينشأ الوعي من أنظمة معقدة كالدماغ. يُؤيد معظم الفلاسفة هذا الرأي، لكن أقلية كبيرة تُفضل بدائل أخرى كوحدة الوجود.

4. انتقادات مذهب وحدة الوجود

يرى النقاد أن مذهب وحدة الوجود لا يُفسر كيفية اندماج أشكال الوعي البسيطة لتكوين أشكال معقدة (مشكلة الاندماج)، ويفتقر إلى تنبؤات قابلة للاختبار.

5. نظريات بديلة

يقترح البعض أن الكون نفسه واعٍ، أو أن الدماغ يستخدم الوعي بدلاً من إنتاجه. بينما يقترح آخرون أن الوعي قد يكون مرتبطاً بكائنات تتجاوز المكان والزمان.

6. الآثار الأخلاقية

يؤثر فهمنا للوعي على المسائل الأخلاقية، مثل معاناة الحيوانات. يُحوّل مذهب وحدة الوجود التركيز من السلوك الملحوظ إلى التجربة الداخلية.

7. الدعم التجريبي

على الرغم من الاهتمام الفلسفي بمذهب وحدة الوجود، إلا أن المادية لا تزال مهيمنة نظرًا لأساسها التجريبي الأقوى.

في كتابي أقنعة الوهم وكتاب الثوتون، ناقشت موضوع حقل الوعي أو مجال الوعي الكوني وبعض النظريات التي تتبنى هذا المفهوم المستوحى من فيزياء الكم نظريات الحقول (المجالات) الكونية [3] التي تنبعث منها الجسيمات الذرية والفوتونات ومختلف مكونات الوجود، وكانت رؤيتي واضحة بأنني أرجح هذا المفهوم، واعتبر الوعي الكلي، المرتبط بالله، منتشر في جميع أرجاء الوجود ومتصل بجميع الموجودات، وأن العقل البشري يستقي الوعي والإدراك من الوعي الكلي الشمولي عن طريق الدماغ كمستقبل لا كمولد للوعي. الثوتون هو كم المعلومات المجردة الذي يمتلك خواص المجرّد والمجسد معاً، مثله مثل الفوتون والجسيمات الأخرى وفقاً لنظرية الكم. غير أن هذا المبحث ليس من ضمن طروحات هذا الكتاب، لذلك اكتفيت بالإشارة الموجزة إليه باعتباره أحد أطروحات مادة شمولية الوعي التي يتبناها هذا الكتاب.

---

[3] تُعد نظريات الحقول (المجالات) الكونية إطاراً فيزيائياً يصف الكون من خلال مجالات منتشرة تتفاعل الجسيمات من خلالها. أبرزها نظرية المجال الكمومي (QFT) التي تدمج الكم مع النسبية، ونظرية الانفجار العظيم كنموذج لنشأة الكون، بجانب محاولات التوحيد (مثل الأوتار) لدمج القوى الأساسية.
نظرية المجال الكمومي (Quantum Field Theory - QFT): هي الصياغة الفيزيائية الحديثة التي تصف الجسيمات الأولية كإثارات (اهتزازات) في مجالات أساسية تغطي الزمكان.

الإنسان داخل كون واعٍ

إذا كان الوعي خاصية متدرجة في الوجود، فإن الإنسان لا يقف خارج هذا الكون، بل في قلبه. فالإنسان ليس كائنًا منعزلًا، بل هو نقطة التقاء بين المادة والحياة والعقل والخطاب الإلهي. وهذا يغيّر صورة الإنسان من سيدٍ مطلق للطبيعة إلى شاهد داخل نظام أوسع منه، ومسؤول عن علاقته بالوجود لا مالكًا له.

يمكن تفسير العلاقة بين الوعي والله من خلال الآيات القرآنية التي تنص على نفخ الروح الإلهية (ونفخت فيه من روحي) ثم يعقبها التعليم والإدراك (وعلم آدم الأسماء كلها) ... ولم يقتصر نفخ الروح على الإنسان، فكما ورد سابقاً، تنص الآيات القرآنية على تمكين الله النبي عيسى من نفخ الروح في نماذج الطير الطينية. كذلك، لم يقتصر التكليف على الإنسان، فالآيات تتحدث عن المخلوقات من الكائنات الحية بأنها (أمم أمثالكم) وأنهم (إلى ربهم يحشرون) يوم القيامة. أما باقي الموجودات فهي تسبح (,إن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم). أما الروح التي وصف الله أنه (نفخت فيه من روحي) فلا يوجد أي نص يشير بوضوح إلى طبيعتها أو أن كانت بالتأكيد جزء من الله، فالنص في آية أخرى يقول:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: 85

خاتمة الفصل

إن "وحدة الوجود الإلهي" (شمولية الوعي) لا تعني أن كل شيء يفكر كما يفكر الإنسان، ولا أن الكون ذات واعية بالمعنى النفسي، بل تعني أن الوجود ليس كتلة صامتة، بل مجالًا للعلاقة والمعنى والاستجابة. فالوعي في هذا المنظور ليس امتيازًا أنانيًا ولا خاصية مادية محضة، بل بعدٌ وجوديّ يتدرج من الجماد إلى الإنسان. ومن هذا الأفق يصبح السؤال التالي ضروريًا: إذا كان الوجود مشمولًا بالوعي، فكيف يعبّر القرآن عن هذا الوعي؟ وهل حديثه عن تسبيح الموجودات وسجودها وإجابتها أمرًا بلاغيًا محضًا، أم وصفًا لحقيقة أنطولوجية؟

هذا ما سيقودنا في الفصل القادم إلى دراسة الآيات القرآنية المتعلقة بالخلق وشمولية الوعي، قبل أن نواجه السؤال البلاغي الكبير: هل نحن أمام استعارة... أم أمام رؤية كونية جديدة للوجود؟

"تطبيق تأويلي لـ "وحدة الوجود الإلهي" (شمولية الوعي): نموذج النور"

إليكم مثال لاستكمال هذا الإيجاز: تأويل لآية "النور"، مقتطف من كتاب أقنعة الوهم، الجزء الرابع – نور على نور: هندسة الاستنارة في كون ثنائي الحالة:

تشهد البشرية صورًا جلية تتجاوز حدود اللغة والجغرافيا والمعتقدات. ومن أعظمها الاستعارة القرآنية للنور:

﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور 24: 35)

هذه الآية لا تنحصر بعقيدة، بل هي علم كوني، وعلم نفس، وما وراء الطبيعة، وفيزياء الوعي مُعبّر عنها بلغة رمزية. إنه أوضح تعبير عن بنية الحالة الثنائية التي وصفتها في الفصول السابقة – عالم الكتلة وعالم شبيه–الضوء، "الشكل" و"الوظيفة"، الإناء والجوهر. لفهم معنى "نور على نور"، يجب أن نفهم الاستنارة نفسها.

تصف الآية بنية رمزية:

النور ⟵ المجازي وهو المعرفة الشاملة المطلقة، المعنى، العقل الكلّي مصدر الوجود

النور ⟵ المجالات أو الحقول الكمومية عندما تتحول إلى جسيمات مادية لها كتلة، الكون الفيزيقي

مشكاة ⟵ الفراغ الكوني (Vacuum)، الكون المحدَّب، جسم الإنسان، إناء الفيزيقي (الكتلة) المهيأ لاستقبال النور

مصباح ⟵ شعلة الوعي، الاستنارة، تحول مجال الوعي إلى الكمّ المعلوماتي في حالة ثوتونات.

زجاجة ⟵ دماغ الإنسان وشبكة الخلايا العصبية التي يحدث فيها "الانهيار الكمومي" وتبادل المعلومات وإضفاء المعنى على التجربة الشخصية Interface for Consciousness and Qualia – واجهة التواصل بين حقل الوعي والجسد. الدماغ أداة السببية توجه وتضخم وتنظم وتوزع المعلومات التي تحرك الجسد، مكان التقاء المعرفة أو الفكر المجرَّد بالمادة الفيزيقية.

كوكب دري ⟵ العقل الذي يمتلك المعرفة.

يوقد من شجرة مباركة زيتونة ⟵ مجال (حقل) الوعي مصدر المعرفة ومنبع الإدراك

لا شرقية ولا غربية ⟵ دلالة على حيادية المجال (حقل) الوعي التجريديّ، خصائص الحقول التي تصدر عن استثارتها جميع الجسيمات المادية.

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ⟵ المعرفة الشاملة الكامنة في حقل الوعي والإستثارات في الحقل وإمكانية الانهيار الكمومي (الاستثارات في الحقل على هيئة superposition أي مبدأ التراكب إلى احتمالات دالة الموجة wave function إلى انهيارها إلى ثوتونات تحمل كمّ المعلومات) والحلول الثوتوني في دماغ الإنسان، والمعرفة الشاملة أو المعرفة الخالصة بهذا المعنى كائنة في الحقل ولا تقتصر على التفاعل مع الدماغ. المجالات أو الحقول التي تملأ الفراغ Vacum تعجّ كل الوقت بولادة ازواج الجسيمات المتضادة التي تتصادم وتفنى وتولد وتفنى وهكذا في كل الوقت، فالفراغ ليس فراغاً مطلقاً أو عدم، فالمجالات تكاد تتجلى كمادة دائمة في جميع الأوقات. [4]

---

[4] إن المفاهيم المطروحة هنا فلسفية وتفسيرية بطبيعتها؛ فهي لا تُطرح كآليات فيزيائية أو تفسيرات علمية، بل كأدوات مفاهيمية للتفكير في العلاقة بين الوعي وارتباطاته العصبية.

نور على نور ⟵ التواصل والتبادل بين النور المعرفي التجريدي والنور المتجسد المادي، أي المادي والميتافيزيقي؛ لكليهما ذات المصدر، وجهان لحقيقة واحدة، الكون مضاء من الخارج والعقل مضاء من الداخل.

الضوء: لغة الكون الأولى

كان الضوء موجودًا قبل وجود المادة، قبل تشكل الذرات، ملأت الحقول أو المجالات Quantum Fields الفراغ. قبل احتراق النجوم، كان هناك

إشعاع بدائي – وميض كوني لا يزال يتردد صداه حتى اليوم في الخلفية الكونية الميكروية CMB. الضوء ليس مجرد ظاهرة فيزيائية، بل هو علامة المطلق. تكشف خصائصه عن حقيقة أعمق: الضوء لا كتلة له، ولا يختبر الزمن. بالنسبة للفوتون، الخلق والوصول هما نفس اللحظة. سرعة الضوء ثابت يتحرك بنفس السرعة بالنسبة لجميع المراقبين، مشكلًا الإطار المرجعي الكوني للواقع. ينكشف الضوء عندما يكشف ما هو خفي، ويُخرج الشكل من الظل، ويجعل الوجود مفهومًا. في الفيزياء، الضوء هو الجسر بين الطاقة والمادة، الموجة والجسيم، المعلومة والشكل، الزمكان والمعنى.

في الميتافيزيقيا، الضوء هو الجسر بين اللانهائي والمحدود، المطلق والنسبي، الإلهي والإنساني، الوعي والعالم.

وهكذا، فإن استعارة "نور على نور" ليست تجريدًا شعريًا؛ بل هي خريطة للواقع.

الضوء كمعرفة: استنارة الوعي

الوعي هو استنارة من الداخل. العقل لا يُولّد الاستنارة، بل يعكسها. عندما نرى، أو نفكر، أو نستشعر، أو نفهم، فإننا نشهد إشعاعًا داخليًا لا ينتمي إلى الجسد وحده. وهذا يتماشى مع نموذج الحالة الثنائية:

حالة الكتلة: الدوائر العصبية، التدرجات الكيميائية، الإمكانات المشبكية؛ القابل للقياس.

حالة شبيه–الضوء: الوعي، المعنى، الحدس، البصيرة؛ غير القابل للقياس.

ما نسميه "التفكير" هو نقطة التقاء هذين العالمين. الدماغ هو الفانوس، والوعي هو الشعلة. وكما أن الفانوس لا يُولّد الضوء، فإن الدماغ لا يُولّد الوعي من العدم، بل يستضيفه، ويُشكّله، ويُوجّهه.

ولهذا السبب يصف الصوفيون عبر التقاليد التنوير بالإشعاع: "نور العقل"، "العين الثالثة"، "المصباح الداخلي"، "شرارة الإله".

هذه استعارات للمبدأ نفسه: الوعي حالة من الاستنارة – نور داخل المادة.

النوران: "الشكل" – النور و" الجوهر" – النور

لفهم "نور على نور"، يجب علينا تحليل طبقاته.

النور الأول – نور "الشكل": هذا هو نور الكون المادي: الفوتونات، النجوم، المجالات، الطاقة، الكهرومغناطيسية. إنه النور الذي يكشف العالم للحواس.

النور الثاني – نور الوعي: هذا هو النور الداخلي: الوعي، الفهم، الحَدْس الأخلاقي، المعنى، الذات، الوجود. إنه النور الذي يكشف العالم للذات.

"نورٌ على نور" هو اندماج هاتين الطبقتين: الاستنارة الخارجية للواقع والاستنارة الداخلية للمعنى. عندما ينسجمان، يتجلى الوضوح. وعندما يتباعدان، يبدأ الوهم.

الاستنارة والتوازن: نور التوازن. الضوء هو التوازن.

في الفيزياء: الفوتونات تتوسط القوة الكهرومغناطيسية، والكهرومغناطيسية تُثبّت الذرات، والذرات تُثبّت الجزيئات، والجزيئات تُثبّت الحياة.

في علم الأحياء: يتطلب الأيض تدفق الطاقة، والتوازن الداخلي يتطلب تدرجات مُنظّمة، والرؤية تتطلب الفوتونات.

في الوعي: يتجلى الوضوح عندما تتوازن الحالات العصبية، وتنشأ المعاناة عندما تقع في اختلال التوازن.

في الأخلاق: الخير هو استعادة التوازن، والشر هو تشويه النظام الطبيعي.

وهكذا، فإن "نور على نور" هو المعادلة الكونية للتوازن. التوازن يخلق الاستنارة. الاستنارة تحافظ على التوازن. التوازن هو الحالة التي يصبح فيها الضوء مرئياً – والحالة التي يصبح فيها الوعي ممكناً.

فقدان الضوء: الظلام كاختلال توازن

الظلام ليس جوهرًا. إنه غياب الاستنارة وانهيار التوازن. في الفيزياء: الثقوب السوداء تبتلع جميع المعلومات – اختلال توازن محض.

في العقل: الصدمة، والوهم، والقلق – خفوت النور الداخلي.

في المجتمع: الظلم، والاستغلال، والقمع – اختلال التوازن ينتشر في الجسد الجماعي.

في الحضارة: يحدث الانهيار عندما يصبح الاختلال نظاميًا.

في الرمزية الدينية، يرتبط الظلام دائمًا بالتشرذم، والجهل، والظلم، والانفصال، واختلال التوازن.

ميتافيزيقيا التأمل: كيف يرى الكون نفسه

للضوء خاصية استثنائية واحدة: إنه يكشف عن كلٍّ من الشيء والمراقِب. وجهك في المرآة ممكن فقط لأن الفوتونات تحمل المعلوماتٍ في كلا الاتجاهين. يتصرف الوعي بالطريقة نفسها تمامًا. إنه يكشف عن العالم وعن الشخص الذي يدركه. لهذا السبب يصل كل تقليد صوفيّ إلى نفس الإدراك: الكون يعرف نفسه من خلال الوعي، والوعي يعرف نفسه من خلال الكون. نور على نور.

الإنسان كيان استنارة

يحتل البشر مكانة فريدة في الكون: فهم مصنوعون من المادة، مفعمة بالطاقة، مُستنيرون بالوعي، قادرون على التأمل الأخلاقي، وقادرون على إدراك الذات.

نحن النوع الحي الوحيد الذي يستطيع التأمل في التوازن نفسه. لهذا السبب تُشدد النصوص الدينية على دور الإنسان كخليفة (حامل الأمانة)، وصورة الله (انعكاس الإله)، وبوداسف (الراعي المُستيقظ)، والشخص الذي يُسمّي الخلق. ليس لأننا متفوقون بيولوجيًا، بل لأننا آنية تستقبل الضوء، قادرة على توليد استنارة ثانوية: المعرفة، والفن، والأخلاق، والمعنى، والحضارة. وكما تُبدع النجوم الضوء، يُبدع البشر المعنى.

نور على نور – بُنيان القدر

بالعودة إلى الفصل السابق: القدر = نور الكون، والإرادة الحرة = نور الوعي. عندما ينسجم هذان النوران، تُصبح حياة الإنسان متماسكة، وذات معنى، ومتناغمة. عندما يتباعدان، يتشقق الإناء – عاجزًا عن حمل النور. عندها يتولد القلق، والتناقض الذاتي، والحيرة الأخلاقية، والأزمة الوجودية، والوهم يصبح أشكالًا من التعتيم. وهكذا لا يُفرَضْ القدر، بل يُكشف من خلال وضوح النور.

أن تكون إنسانًا كاملًا لا يعني أن تصبح قويًا، بل أن تصبح شفافًا: شفافًا للحقيقة، شفافًا للتوازن، شفافًا للثابت، شفافًا للواقع، شفافًا للنور الداخلي. الزجاج الذي يحجب اللهب لا يستطيع أن يُنير. والإناء الذي يحجب النور لا يستطيع أن يُرشد. وهكذا، الخلاصة – المهمة الإنسانية: أن تكون هو أن تصبح شفافًا

الواجب الأخلاقي للوعي بسيط: نظّف الزجاج، قوِّ المصباح، استقبل النور الأسمى، واعكسه في العالم. هذا هو "نور على نور".

نهاية المقتطف

الفصل الثالث

الكون بين البداية والديمومة والوعي

الفصل الثالث

الكون بين البداية والديمومة والوعي

1. الكوزمولوجيا الحديثة وسؤال البداية

لم يعد سؤال الخلق حكرًا على الفلسفة أو اللاهوت، بل أصبح في قلب العلم الحديث، ولا سيما علم الكوزمولوجيا الذي يبحث في أصل الكون وبنيته ومصيره. وقد أدى تطور الفيزياء الحديثة إلى إعادة طرح الأسئلة القديمة بصيغ جديدة: هل للكون بداية؟ وهل نشأ من لحظة انفجار أولى؟ وهل هو حادث أم أزلي بصورة ما؟ وهل انتظام قوانينه يدل على غاية أم على مصادفة؟

غير أن هذه الأسئلة، مهما بدت علمية في ظاهرها، تظل مشحونة بدلالات فلسفية وأنطولوجية تتجاوز حدود المعادلات والتجارب.

أ. نظرية الانفجار العظيم وبداية الكون

تشير النظرية السائدة في الفيزياء الكونية إلى أن الكون نشأ من حالة كثافة وحرارة عاليتين جدًا فيما يُعرف بـ«الانفجار العظيم». وتُفهم هذه اللحظة غالبًا بوصفها بداية للزمان والمكان معًا.

غير أن هذه «البداية» ليست بداية مطلقة بالمعنى الميتافيزيقي، بل بداية لنمط معين من الوجود يمكن وصفه رياضيًا. فالعلم لا يصف ما قبل هذه اللحظة، ولا يستطيع أن يجيب عن سؤال: لماذا كان هناك انفجار أصلًا؟ أو لماذا وُجد قانون يسمح له بالحدوث؟

وهكذا تظل نظرية الانفجار العظيم وصفًا لمرحلة من مراحل الوجود، لا تفسيرًا نهائيًا لمعناه.

ب. الكون بين الخلق والاحتمال

في مقابل تصور الكون ذي البداية الواحدة، ظهرت نظريات تتحدث عن الأكوان المتعددة:

الكون الدوري (التمدد والانكماش)، وهو أكوان تنشأ وتموت باستمرار، هذه التصورات تحاول تجاوز فكرة البداية المطلقة، لكنها لا تلغي السؤال الجوهري: لماذا توجد قوانين تسمح بتعدد الأكوان؟ ولماذا يوجد نظام يسمح بالتحول والولادة الكونية؟

حتى في فرضية الأكوان اللامتناهية، يبقى السؤال مفتوحًا عن أصل القانون نفسه، وعن معنى الوجود في كون لا يكون عبثيًا تمامًا ولا غاية واضحة له.

ج. الضبط الدقيق وقضية التصميم

من أكثر القضايا إثارة للدهشة في الفيزياء الحديثة ما يُعرف بـ«الضبط الدقيق» لقوانين الكون. فثوابت الطبيعة (الجاذبية، الشحنة الكهربائية، الكتل الأساسية) لو اختلفت بنسب ضئيلة جدًا لما أمكن نشوء النجوم أو الذرات أو الحياة. وهذا ما فتح بابًا لثلاث قراءات كبرى:

قراءة تقول بالتصميم الذكي. قراءة تقول بالصدفة ضمن أكوان لا متناهية. قراءة ترى في الكون بنية ذات انتظام داخلي عميق. غير أن هذه القراءات، مهما اختلفت، تشترك في الإقرار بأن الكون ليس فوضى عمياء بسيطة، بل نظام بالغ الدقة.

د. حدود العلم

يصف العلم كيف يتمدد الكون، وكيف تتشكل النجوم، وكيف تنشأ العناصر، وكيف تتطور الحياة، لكنه لا يجيب عن: لماذا يوجد شيء بدلًا من لا شيء؟ لماذا هذا النظام لا غيره؟ لماذا هذا القانون لا غيره؟ وهنا لا يتعارض العلم مع الإيمان،

بل يتوقف عند حدوده الطبيعية، تاركًا باب المعنى مفتوحًا أمام التأمل الفلسفي والديني.

2. الخلق في الرؤية القرآنية: من الحدث إلى الفعل الدائم

إذا كان العلم يصف كيف نشأ الكون، وإذا كانت الفلسفة تتساءل عن معنى الوجود، فإن القرآن يقدّم خطابًا كونيًا مختلفًا في طبيعته: خطابًا يرى الكون كلَّه داخل علاقة مع الله، لا بوصفه مادة صامتة، بل بوصفه مجالًا للآيات، والتسبيح، والطاعة، والعودة.

فالقرآن لا يقدم تصورًا للخلق بوصفه حدثًا في الزمن فقط، بل يقدّمه ضمن رؤية أنطولوجية تشمل الوجود، والزمان، والوعي، والمصير، وبوصفه نمطًا دائمًا من الوجود، تكون فيه الكينونة ذاتها قائمة بالفعل الإلهي المستمر. فالكون ليس شيئًا وُجد ثم استقل بقوانينه، بل هو علاقة دائمة بين الإرادة والمعنى والوجود. وبهذا المعنى، فإن شمولية الوعي في الفضاء القرآني لا تعني حلول الله في الكون، ولا تجعل الكون هو الله، ولا تختزل الخطاب القرآني في استعارات شعرية عن الطبيعة. بل ترى أن الوجود مخلوق قائم بالله، وأن الوعي ليس خاصية عصبية محضة، بل بعد من أبعاد العلاقة بين الخلق والخالق. إن الوجود نفسه منفتح على الدلالة.

ومن هنا يمكن الحديث عن فضاء قرآني للوجود، لا يقتصر على الإنسان، بل يشمل السماوات والأرض وما بينهما.

أ. الخلق المستمر والكون المتجدد والقيّومية

الخلق في الرؤية القرآنية ليس مجرد حدث فيزيائي، بل فعل ذو دلالة:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

فالكون ليس فقط موضوعًا للقياس، بل موضوعًا للتفكر.

حين تتحدث الفيزياء عن تمدد الكون، وعن نشوء النجوم وموتها، وعن تحولات الطاقة والمادة، فإنها تقترب – دون أن تقصد – من تصور الخلق المستمر. فالكون ليس كتلة ثابتة، بل عملية جارية. وهذا ينسجم مع الرؤية القرآنية: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ – ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ – ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، فالخلق ليس واقعة ماضية فقط، بل فعل دائم يتجدد في صور لا تنتهي.

آيات الخلق: الوجود بوصفه فعلًا دائمًا

وفق المنظور العقدي؛ يقدّم القرآن الخلق لا كحادثة منتهية في الماضي، بل كفعل متجدد، ففعل الخلق والإيجاد هو مقتضى كمال الربوبية وأثر من آثار أسماء الله الحسنى كـ "الخالق" و"الباري" و"المصور" و "سَوَّى" و "أَنْشَأ" و "فَطَر" و "بَرَأ" و "ذَرَأ".

ويمكن توضيح هذه الاستمرارية في النقاط التالية:

الخلق المستمر (الإمداد بعد الإيجاد) :الوجود لا يستغني عن الخالق لحظة واحدة؛ فالله تعالى لا يكتفي بإيجاد المخلوقات فحسب، بل يمدها بالبقاء والرزق والحياة في كل آن، وهو ما يعبر عنه بـ "القيُّومية."

تجدد الحوادث: الكون في حالة تغير وتحول دائم، فكل لحظة تشهد ولادة نجوم، وفناء أخرى، وخلق خلايا جديدة، وإحياء وإماتة ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الرحمن: 29

عدم التناهي :إن قدرة الله ومشيئته لا يحدها حد، وخلقه لا ينفد ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ الكهف: 109

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لقمان: 27

ما بعد قيام الساعة :لا يتوقف فعل الخلق بقيام الساعة، بل ينتقل إلى طور جديد وأبدي؛ فيخلق الله الجنة والنار، ويخلق لأهل الجنة نعيماً متجدداً لا ينقطع، مما يؤكد أن صفة الخلق صفة كمال ذاتية وفعلية دائمة.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

هذه الآيات تقلب التصور الزمني البسيط للخلق. فالخلق ليس لحظة أولى فقط، بل شأن دائم. والكون ليس شيئًا أُنجز ثم تُرك، بل وجود يتجدد في كل آن. فالخلق في الرؤية القرآنية ليس حدثًا ماضيًا فقط، بل عملية جارية، وتجددًا مستمرًا، وعلاقة دائمة بين الإرادة الإلهية والوجود. وهذا يجعل الكون أقرب إلى كيان حيّ متحوّل، لا إلى آلة جامدة تعمل بقوانين مغلقة على ذاتها ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

ب. آيات الكلمة والأمر: الخلق بالخطاب لا بالمادة فقط

يرتبط الخلق في القرآن بـ«الكلمة» و«الأمر»:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ الأنعام: 115

﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ الكهف: 109

﴿مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ القمر: 50

وهذا يشير إلى أن الوجود ليس مجرد مادة، بل تجلٍّ للمعنى والكلمة والإرادة. فالكون ليس فقط شيئًا موجودًا، بل قولٌ إلهيٌّ ممتدّ.

ج. آيات البعث والخلود: انتقال في نمط الوعي

الآخرة ليست مجرد عودة للأجساد، بل تحوّل في نمط الوجود:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يس: 51
﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ الدخان: 56

الخلود هنا ليس زمنًا لا ينتهي فقط، بل حالة وجودية جديدة.

د. وحدة النسق القرآني

حين تُجمع هذه الآيات معًا، يظهر نسق متماسك: الخلق فعل دائم، الوجود قائم بالكلمة، الكون يسبّح ويعلم، الأرض تشهد، السماء تطيع، والمصير تحوّل لا فناء. وهذا النسق لا يمكن اختزاله إلى مجاز بلاغي عابر، بل يقدّم رؤية كونية متكاملة.

3. الإنسان بين الاتساع والمعنى

إذا كان الكون واسعًا إلى هذا الحد، وإذا كانت بدايته ومصيره محل تساؤل دائم، فإن موقع الإنسان يتغير جذريًا. لم يعد الإنسان مركز الكون الهندسي، لكنه قد يكون مركز المعنى فيه، بوصفه الكائن الذي يسأل عن أصله ومصيره. وهنا يلتقي العلم والوعي في سؤال واحد: ما معنى أن نكون موجودين في كون بهذا الاتساع والدقة؟ في المقابل يجيب القرآن على هذا السؤال بإجابة يقينية تؤكد فيها الآيات القرآنية أن سبب خلق الكون هو تعظيم الله، إظهار قدرته، وعبادته، حيث خُلقت السماوات والأرض بالحق ولأجل مسمى، مع تسخير ما فيها للإنسان. وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تبين الحكمة من خلق الكون، وتتلخص في المقاصد التالية:

أ .معرفة الله وقدرته وعلمه

أهم غاية هي أن يدرك الإنسان عظمة الخالق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ سورة الطلاق: 12

ب .عبادة الله وحده

الكون سُخّر ليكون مسرحاً لعبادة الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات: 56

ج .الابتلاء والاختبار

خلق الله الحياة والموت والكون ليختبر عمل الإنسان: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا"﴾ سورة الملك: 2

د .إقامة الحق والعدل

خلق الله الكون ليكون قائماً على الحق والجزاء العادل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الدخان: 38-39

هـ .تسخير الكون لنفع الإنسان

ذكر القرآن أن كل ما في الكون مُسخّر لخدمة البشر ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ سورة لقمان:20

خاتمة الفصل

إن الكوزمولوجيا الحديثة، مهما بلغت دقتها، تقف عند حدود الوصف، فهي تكشف عن كون مدهش في اتساعه، دقيق في قوانينه، غامض في بداياته، مفتوح في نهاياته. وهي لا تنفي الخلق ولا تثبته بمعناه الميتافيزيقي، بل تضعنا أمام كون يتطلب تفسيرًا أعمق من الوصف الرياضي وحده، بينما يفتح القرآن أفق المعنى. وبين الوصف والمعنى يولد السؤال الأنطولوجي: هل الكون مجرد واقعة فيزيائية، أم هو خطاب وجودي؟

فإذا كان العلم يعلّمنا كيف بدأ الكون، فإن القرآن يسألنا: لماذا يكون الكون؟ ولماذا يكون هذا الوجود قابلًا للفهم والتسبيح والشهادة؟ ومن هنا يصبح سؤال الوعي الكوني ليس سؤالًا بلاغيًا، بل سؤالًا عن طبيعة الوجود ذاته: هل هو صامت أم ناطق بالمعنى؟

وهذا ما نناقشه في الفصل السادس: ضد الاختزال البلاغي: في نقد ردّ الوعي الكوني إلى الاستعارة.

الفصل الرابع

آيات الخلق دون ذكر العدم

الفصل الرابع

آيات الخلق دون ذكر العدم: الوجود بوصفه فعلًا متجددًا لا خروجًا من فراغ

يُعدّ مفهوم الخلق من أكثر المفاهيم مركزية في القرآن الكريم، غير أن الطريقة التي يعرض بها النص القرآني فعل الخلق تختلف اختلافًا عميقًا عن التصورات الفلسفية التي شاعت لاحقًا، ولا سيما فكرة أن الخلق هو خروج من "العدم" إلى "الوجود".

فالمتأمل في الآيات القرآنية يلاحظ غياب مصطلح "العدم" بوصفه مفهومًا أنطولوجيًا صريحًا، مقابل حضور كثيف لمفردات أخرى مثل: الخلق، الأمر، الكلمة، الإيجاد، الحق، التسوية، التقدير، والتبديل. وهذا الغياب ليس عرضيًا، بل يكشف عن تصور مختلف للوجود والخلق: تصور يرى الخلق فعلًا دائمًا، وعلاقة مستمرة بين الله والكون، لا حدثًا مغلقًا وقع في الماضي ثم انتهى.

ومن هنا يمكن القول إن القرآن لا يؤسس أنطولوجيا للعدم، بل أنطولوجيا للفعل، والتحول، والمعنى.

1. الخلق بالحق لا من عدم

يربط القرآن الخلق دائمًا بـ"الحق:"

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ الأنعام: 73

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الحجر: 85

فالخلق هنا ليس اعتباطيًا، ولا عبثيًا، ولا صادرًا عن فراغ، بل قائم على معنى، نظام، غاية، وانتظام. إن وصف الخلق بالحق ينقلنا من تصور الخلق كقفزة من لا شيء إلى شيء، إلى تصور الخلق بوصفه تحققًا للمعنى في صورة وجودية.

"الحق" ليس مادة، بل مبدأ للانتظام والظهور، وبهذا يصبح الوجود ذاته ظهورًا للحق في أشكال متعددة، لا مجرد نتاج ميكانيكي لقوى عمياء.

2. "كن فيكون": الخلق بالكلمة لا بتشكيل المادة وحدها

يربط القرآن الخلق بالأمر والكلمة:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ يس: 82

﴿مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ القمر: 50

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ آل عمران: 59

فالوجود، في هذا المنظور، ليس مجرد مادة تتحرك وفق قوانين فيزيائية، بل استجابة لأمر، وتحقق لكلمة، وتجسد لإرادة. وهذا يخرج الخلق من كونه تفاعلًا ماديًا صرفًا إلى كونه خطابًا وجوديًا.

فالكون، بهذا المعنى، ليس شيئًا صامتًا، بل نتيجة استجابة مستمرة للأمر الإلهي. إنه وجودٌ قوليّ بقدر ما هو وجودٌ مادي.

3. طيّ السماوات: الخلق ليس بداية فقط، بل نهاية وتحول

لا يتحدث القرآن عن بداية الكون فقط، بل عن نهايته وتحوله:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ الأنبياء: 104

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ إبراهيم: 48

هذه الآيات لا تصف فناءً مطلقًا، بل طيًّا، تبديلًا، تحولًا في نمط الوجود. فالوجود لا ينتقل إلى عدم، بل إلى صورة أخرى من الوجود. وهذا يؤكد أن منطق القرآن ليس منطق الإعدام، بل منطق التحول.

4. الخلق والتقدير: الوجود وفق مقياس ومعنى

يرتبط الخلق في القرآن بالتقدير:

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

فالخلق ليس انفجارًا فوضويًا، بل فعل موزون، محكوم بقياس، وتوجيه، وهداية. وهذا يعزز تصور الخلق بوصفه تنظيمًا، وتناسقًا، وبنية ذات معنى.

5. غياب مفهوم العدم في الخطاب القرآني

من اللافت، كما أسلفت، أن القرآن لا يستخدم مفهوم "العدم" بوصفه أصلًا للوجود، بل يتحدث عن التراب، الماء، الدخان، الطين، النفس، الأمر، الكلمة.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

فالخلق يتم من حالة إلى حالة، ومن صورة إلى صورة، لا من فراغ مطلق. وهذا يجعل الخلق أقرب إلى التحول الوجودي منه إلى القفز من اللاوجود.

6. بين الخلق كحدث فيزيائي والخلق كفعل إلهي

يمكن التمييز بين مستويين للخلق: الخلق كحدث فيزيائي كما تصفه الكوزمولوجيا (الانفجار العظيم، التمدد، التحولات)، والخلق كفعل إلهي كما يصفه القرآن (الأمر، الكلمة، الحق، التقدير). وهذان المستويان لا يتناقضان، بل ينتميان إلى مستويين مختلفين:

مستوى الوصف العلمي، ومستوى المعنى الوجودي. فالفيزياء تصف كيف يتغير الكون، والقرآن يبيّن لماذا للكون معنى.

خاتمة الفصل

تكشف آيات الخلق في القرآن عن تصور مختلف للوجود: ليس خلقًا من عدم مطلق، ولا حدثًا منتهيًا في الماضي، بل فعلًا دائمًا، وتحولًا مستمرًا، وتجليًا للمعنى في صورة كونية.

فالكون في هذا المنظور قائم بالإرادة، متجدد بالأمر، محكوم بالحق، متحوّل لا مفنى. ومن هنا يصبح سؤال الخلق ليس سؤال البداية فقط، بل سؤال العلاقة الدائمة بين الله والوجود.

ويمهّد هذا الفهم الطريق إلى الفصل التالي، حيث ننتقل من آيات الخلق إلى آيات شمولية الوعي، لنسأل سؤالاً أعمق:

إذا كان الخلق فعلًا ذا معنى، فهل الوجود صامت أم واعٍ؟

وهل يشارك الكون نفسه في الاستجابة لهذا الأمر الإلهي؟

الفصل الخامس

آيات شمولية الوعي في القرآن: الكون بوصفه مجالًا للإدراك والاستجابة

الفصل الخامس

آيات شمولية الوعي في القرآن: الكون بوصفه مجالًا للإدراك والاستجابة

إذا كان الفصل السابق قد بيّن أن الخلق في القرآن ليس خروجًا من العدم، بل فعل تجسُّد من علم الله الأزلي وفقاً لكلمة أمره "كن"، فعلاً متجددًا ذا معنى، فإن هذا الفصل ينتقل خطوة أبعد ليسأل: هل هذا الوجود الذي خُلق بالحق صامت ومحايد؟ أم أنه وجود ذو بعد إدراكي واستجابة خاصة به؟

يعرض القرآن صورة كونية تختلف جذريًا عن الصورة الميكانيكية البحتة التي ترى العالم مادة تتحرك وفق قوانين صماء. فهو يصوّر السماوات والأرض وسائر الموجودات بوصفها في علاقة دائمة مع الله، تعبّر عنها أفعال من قبيل: التسبيح، والسجود، والطاعة، والقول، والشهادة، والخشية.

وهذه اللغة لا تأتي عرضًا، بل تتكرر في مواضع متعددة ضمن نسق دلالي متماسك، مما يفتح الباب أمام تصور شمولية الوعي بوصفه خاصية وجودية متدرجة، لا حكرًا على الإنسان وحده.

1. التسبيح الكوني: إدراك لا حركة ميكانيكية

من أشهر الآيات في هذا الباب:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الإسراء: 44

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ النور: 41

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ النور: 41

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ النحل: 49

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ الحج: 18

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الرحمن: 6

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ النحل: 48

هذه الآيات لا تصف مجرد انتظام فيزيائي، ولا نتحدث عن مجاز أخلاقي، بل عن فعل معرفي/وجودي ينسب إلى الموجودات: علمًا، صلاة، تسبيحًا، سجود.

وهي أفعال تفترض نوعًا من الإدراك والاستجابة، لا مجرد حركة آلية. فالقرآن لا يقول إن الأشياء "تدل" على الله فقط، بل إنها "تسبّح" و"تعلم" و"تصلي."

وهذا ينقل الكون من كونه موضوعًا صامتًا إلى كونه طرفًا في علاقة.

من أكثر الآيات دلالة على شمولية الوعي:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾

هذه الآيات لا تنسب إلى الموجودات مجرد حركة، بل علمًا وصلاة وتسبيحًا وسجودًا، وهي أفعال ذات بُعد إدراكي، لا ميكانيكي.

2. السجود والطاعة: علاقة لا ضرورة فيزيائية فقط

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾،

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام: 38

السجود هنا ليس مجرّد انقياد قسري لقانون طبيعي، بل يُنسب إليه وصف: طوعًا أو كرهًا، وهو وصف يدل على نوع من الاستجابة لا على الجبر الميكانيكي وحده. فالكون لا يُعرض بوصفه آلة تعمل بلا وعي، بل بوصفه كيانًا مندمجًا في نظام الطاعة الكونية.

3. خطاب السماء والأرض: القول والاستجابة

من أبرز آيات الإدراك والاستجابة في الكون:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾

هذه الآية تنسب إلى الكون قولًا وخوفًا وذاكرة وشهادة، وهي مفاهيم ترتبط بالوعي لا بالجمود، ويتمثل ذلك بسماع الخطاب، وفهم الأمر، وإجابة واعية: "أتينا طائعين." ولا يمكن اختزال هذا المشهد إلى صورة بلاغية بسيطة دون إفراغه من معناه الوجودي العميق.

4. الخشية والذاكرة والشهادة

لا يقتصر الأمر على التسبيح والسجود، بل يمتد إلى الخشية والشهادة:

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾

﴿وَقَالَتِ الْأَرْضُ مَا لَهَا﴾

فالخشية، والحديث، الأخبار، والشهادة، كلها مفاهيم ترتبط بالوعي لا بالجمود. وهذا يشير إلى أن للوجود ذاكرة وجودية، لا مجرد حضور فيزيائي.

5. درجات الوعي: لا مساواة، بل تدرّج

لا يقول القرآن إن وعي الإنسان هو وعي الحجر، ولا يساوي بين الموجودات، بل يعرض وعيًا متدرجًا: الإنسان: وعي أخلاقي تكليفي، الحيوان: إدراك واستجابة، النبات: نمو واتجاه، الجماد: انتظام وتسبيح وخشية. فالوعي هنا ليس عقلًا لغويًا واحدًا، بل: حضورًا، واستجابة، وعلاقة مع الأمر الإلهي. وهذا ينسجم مع فكرة أن الوعي ليس نوعًا واحدًا، بل طيفًا وجوديًا.

6. الكون ليس موضوعًا، بل شريكًا في المعنى

حين يقول القرآن ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ فهو يربط بين: الوعي الإنساني (الأنفس)، والكون الخارجي (الآفاق). فالكون ليس مجرد مسرح للإنسان، بل طرف في كشف المعنى.

7. هل هذا مجاز أم وصف أنطولوجي؟

هنا يظهر السؤال الحاسم: هل هذه الآيات مجاز بلاغي؟ أم كشف عن طبيعة الوجود؟ إن تكرار هذا النسق من تسبيح، علم، قول، خشية، شهادة، يجعل من الصعب ردّه كله إلى زخرفة لغوية واحدة. فالقرآن لا يستخدم هذه اللغة مرة واحدة، بل يبني بها رؤية كونية متكاملة.

خاتمة الفصل

في نفي الحلولية عن تصور شمولية الوعي

إن القول بشمولية الوعي في الفضاء القرآني لا يعني بحال من الأحوال القول بحلول الله في الموجودات، ولا اعتبار الكون ذاتًا إلهية أو وعيًا مطلقًا. فالقرآن يميز تمييزًا صارمًا بين الخالق والمخلوق، ويؤكد أن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وأن الوجود كله قائم به لا قائم فيه.

فإسناد التسبيح، والسجود، والعلم، والاستجابة إلى السماوات والأرض والكائنات لا يدل على اتحاد في الجوهر، بل على علاقة وجودية بين الإرادة الإلهية والمخلوقات، يكون فيها الوعي نمطًا من أنماط الامتثال للأمر الإلهي بحسب طبيعة كل موجود. وهذا يخرج هذا التصور من الحلولية، التي تذيب الفارق بين الله والعالم، ويضعه ضمن تصور توحيدي يرى الكون مخلوقًا مفتوحًا على المعنى دون أن يكون هو المعنى ذاته.

إن شمولية الوعي، في هذا السياق، ليست وحدة وجود بالمعنى الصوفي الفلسفي، ولا حلولًا إلهيًا في الطبيعة، بل هي اتساع مجال الإدراك والاستجابة في الخلق، بوصفه أثرًا من آثار الأمر الإلهي لا تجليًا لذات الله. فالكون لا يملك وعيًا مستقلًا بذاته، بل وعيًا تبعيًا قائمًا بالله، كما أن وجوده نفسه وجود مخلوق لا وجودًا إلهيًا.

وبذلك يتحدد هذا الموقف بوصفه رؤية أنطولوجية توحيدية، لا رؤية حلولية ولا مادية، تحافظ على التعالي الإلهي من جهة، وعلى دلالة الوجود من جهة أخرى.

والقرآن الكريم عندما يكشف عن كون ليس صامتًا، بل حيًّا بالعلاقة والمعنى، ووجود يسبّح، ويسجد، ويطيع، ويشهد، ويستجيب، فذلك لا يعني أن الكون يفكر كالبشر، بل أن له نمطًا من الإدراك يناسب طبيعته. وبذلك ينتقل الوعي من كونه امتيازًا بشريًا صرفًا إلى كونه خاصية وجودية متدرجة تشمل العالم كله بدرجات مختلفة.

ويمهّد هذا الفهم الطريق إلى الفصل التالي، حيث نواجه السؤال المنهجي مباشرة: هل يجوز ردّ هذا كله إلى استعارة بلاغية؟ أم أن ذلك اختزال فلسفي للنص القرآني؟

هذا ما سنبحثه في الفصل السادس: ضدّ الاختزال البلاغي: في نقد ردّ الوعي الكوني إلى الاستعارة.

الفصل السادس

ضدّ الاختزال البلاغي: في نقد ردّ الوعي الكوني إلى الاستعارة

الفصل السادس

ضدّ الاختزال البلاغي: في نقد ردّ الوعي الكوني إلى الاستعارة

بعد أن عرضنا آيات الخلق بوصفها فعلًا ذا معنى، وآيات شمولية الوعي بوصفها رؤية كونية متكاملة، نصل هنا إلى السؤال المنهجي الحاسم:

هل يجوز ردّ كل هذه اللغة القرآنية إلى مجرد استعارة بلاغية؟ أم أن هذا الرد نفسه يحمل افتراضًا فلسفيًا غير معلن عن طبيعة الوجود والوعي؟

لقد شاع في التفسير الحديث القول بأن تسبيح الموجودات، وسجودها، وخشيتها، وقولها، وحديثها، إنما هو تصوير مجازي لتقريب المعنى إلى ذهن الإنسان، لا وصف لحقيقة قائمة في الكون. غير أن هذا الموقف، على شيوعه، يحتاج إلى فحص نقدي دقيق، لا من زاوية البلاغة وحدها، بل من زاوية الأنطولوجيا أيضًا.

1. متى تكون الاستعارة مشروعة لغويًا؟

في علم البلاغة العربية، لا يُلجأ إلى المجاز إلا عند وجود مانع يمنع حمل اللفظ على الحقيقة. فالأصل في اللغة هو الحقيقة، والمجاز فرع عنها. المجاز موجود في الصورة الشعرية، ولكن القرآن ليس شعراً، والله يقول في القرآن:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ يس: 69

وعليه فالسؤال الأول ليس هل يمكن أن تكون هذه الآيات مجازًا؟ بل هل يوجد مانع عقلي أو لغوي يمنع أن يكون لها معنى حقيقي؟ هل يمنع العقل أن يكون للموجودات غير البشرية نوع من الإدراك أو الاستجابة؟ الجواب: لا يوجد برهان عقلي قاطع يمنع ذلك، وإنما يوجد تصور فلسفي مسبق يحصر الوعي في الإنسان وحده. وهذا يعني أن ردّ الآيات إلى المجاز لا ينبع من اللغة، بل من تصور أنطولوجي سابق عن طبيعة الوعي.

2. الاستعارة هنا حلّ دفاعي لا ضرورة نصيّة

حين يُقال "النجم يسجد" = أي يخضع لقانون الجاذبية، و"الأرض تتحدث" = أي يظهر أثر أفعال البشر عليها، و"كل شيء يسبّح" = أي يدل على عظمة الخالق، فإننا لا نفسّر النص بقدر ما نستبدله بتفسير فلسفي خارجي. فتتحول الاستعارة من أداة لغوية إلى آلية دفاع معرفية تهدف إلى حماية تصور مادي أو عقلاني للكون بوصفه صامتًا ومحايدًا. وبذلك لا يعود السؤال بلاغيًا، بل أنطولوجيًا: هل الوجود في ذاته بلا إدراك؟ أم أن الإدراك يتخذ أشكالًا متعددة لا تختزل في الوعي الإنساني؟

3. وحدة النسق القرآني تمنع التفكيك المجازي

لو وردت آية واحدة عن تسبيح الموجودات، لجاز حملها على المجاز بسهولة. لكننا أمام نسق متكرر ومترابط: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ – ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ – ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ – ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ – ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، هذه شبكة دلالية كاملة تنسب إلى الكون علمًا وقولًا، وخشية وطاعة وشهادة. إن اختزال هذا كله في مجاز واحد يفكك النسق القرآني، ويحوّل الرؤية الكونية إلى زخرفة لغوية بلا مضمون وجودي.

4. الفرق بين المجاز والتوسيع المفهومي

ليس كل خروج عن المألوف مجازًا. قد يكون النص بصدد توسيع مفهوم الوعي نفسه. فالقرآن لا يقول إن الجبل يعقل كعقل الإنسان، بل يقول إن له نمطًا من الإدراك يناسب طبيعته .كما أن القول بإدراك الملائكة لا يجعلهم بشرًا، كذلك القول بإدراك الكون لا يجعله إنسانًا. هنا ينتقل مفهوم الوعي من ملكة عقلية لغوية إلى علاقة واستجابة وحضور أمام الأمر الإلهي. وهذا ليس مجازًا، بل إعادة تعريف للوعي في أفق كوني أوسع.

5. الخوف من التشبيه ليس مبررًا للاختزال

يُقال أحيانًا: لو حملنا هذه الآيات على الحقيقة وقعنا في التشبيه والتجسيم .غير أن هذا الاعتراض يخلط بين إثبات الإدراك وإثبات كيفية الإدراك. فالكتاب لا يقول إن الحجر يشعر كما يشعر الإنسان، بل يقول إن له نمطًا من الإدراك يليق بوجوده. كما أن إثبات السمع والبصر لله لا يعني تشبيهه بالمخلوقين، فكذلك إثبات الإدراك للموجودات لا يعني مساواتها بالإنسان.

6. أثر الاختزال البلاغي على تصور الكون

حين تُردّ هذه الآيات إلى المجاز، يصبح الكون مادة صماء، بلا علاقة وجودية بالله، بلا مشاركة في المعنى، مجرد مسرح لأفعال الإنسان. بينما يقدّم القرآن كونًا يسبّح، ويطيع، ويشهد، ويشارك في العبادة الكونية. وبذلك يتحول الفرق من فرق لغوي إلى فرق في رؤية العالم نفسها.

7. نحو قراءة أنطولوجية للغة القرآن

يقترح هذا الكتاب قراءة ترى أن لغة القرآن لا تصف الظواهر فقط، بل تكشف عن بنية الوجود، وتعيد تشكيل علاقة الإنسان بالعالم. فالقرآن لا يستخدم البلاغة للزينة، بل لتأسيس تصور عن كون حيّ بالعلاقة، ووجود ذي معنى، ووعي متدرج. وهذا يفتح بابًا لفهم جديد للآيات، لا بوصفها استعارات تعليمية فقط، بل بوصفها إشارات إلى حقيقة أعمق في طبيعة الوجود.

خاتمة الفصل

إن ردّ شمولية الوعي الكوني إلى مجرد استعارة بلاغية لا يحل الإشكال، بل يخفي خلفه تصورًا فلسفيًا غير معلن عن الكون بوصفه صامتًا ومحايدًا. وهذا الفصل لا يرفض البلاغة، ولا ينكر المجاز، بل يعيد وضعه في موضعه الصحيح: أداة لغوية عند الحاجة، لا مفتاحًا لطمس البعد الأنطولوجي للنص. فالقرآن، حين يتحدث عن تسبيح الموجودات وسجودها وخشيتها وشهادتها، لا يقدّم صورًا شعرية فحسب، بل رؤية كونية عن عالم حيّ بالعلاقة والمعنى.

ومن هنا يصبح الانتقال ضروريًا إلى المستوى التاريخي والفلسفي للسؤال: كيف تعامل التراث الإسلامي مع هذه الرؤية؟ وأين نشأت الخلافات حول الخلق والوعي والكلام الإلهي؟ هذا ما سنبحثه في الفصل التالي: محنة خلق القرآن بين الأزلي والزمني.

الفصل السابع

محنة خلق القرآن: بين الأزلي والزمني

الفصل السابع

محنة خلق القرآن: بين الأزلي والزمني

ليست مسألة «خلق القرآن» مجرد خلاف فقهي أو نزاع سياسي عابر في تاريخ الإسلام، بل هي التعبير الأوضح عن سؤال فلسفي عميق ظلّ ملازمًا للفكر الديني منذ بداياته: كيف يتجلّى الأزلي في الزمني؟ وكيف يكون كلام الله مطلقًا، ثم يظهر في لغة بشرية، وفي زمان محدد، وفي سياق تاريخي معيّن؟

لقد تحوّل هذا السؤال في القرن الثالث الهجري إلى محنة كبرى حين فُرض رأي عقدي واحد بالقوة السياسية، لكن جوهر الإشكال أعمق من الصراع السلطوي؛ إنه توتر دائم بين السرمدي والزمني، الجوهر والتجلّي، المطلق والنسبي، الله واللغة.

1. أصل الإشكال: هل كلام الله داخل الزمان أم خارجه؟

انطلقت المسألة من محاولة عقلية لتوحيد الله تنزيهًا له عن التعدد. فقالت المعتزلة إن القرآن مخلوق حادث، لأن القول بأزليته يعني وجود شيء قديم غير الله، وهذا يناقض التوحيد. في المقابل، قال جمهور أهل السنة إن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه صفة من صفاته، والصفة لا تُفصل عن الذات، ولا يجوز وصفها بالحدوث. لكن الطرفين كانا يتعاملان مع سؤال واحد بصيغتين مختلفتين: المعتزلة خافوا من تعدد القدماء، أهل السنة خافوا من نفي صفة الكلام عن الله. فالخلاف لم يكن فقط عقديًا، بل أنطولوجيًا: هل الكلام الإلهي فعل يحدث في الزمن؟ أم صفة قائمة في السرمدية؟

2. المحنة بوصفها فشلًا في إدارة السؤال الفلسفي

حين تحوّل هذا الخلاف إلى سياسة دولة، أصبح السؤال الفلسفي عقيدة إلزامية، وأصبح التنوع الفكري جريمة. وهنا تظهر مأساة «المحنة» لا بوصفها حدثًا تاريخيًا فقط، بل بوصفها فشلًا في التمييز بين السؤال المفتوح، والعقيدة المغلقة.

لقد كان يمكن لهذا الخلاف أن يبقى نقاشًا معرفيًا حول طبيعة العلاقة بين الأزلي والزمني، لكنه تحوّل إلى أداة قهر. وهذا يكشف خطر تحويل الأسئلة الميتافيزيقية إلى قوانين سياسية.

3. القرآن بين الجوهر والتجلّي

يقترح هذا الكتاب تجاوز الثنائية الصلبة (مخلوق / غير مخلوق) نحو قراءة تركيبية تقوم على مستويين:

القرآن في علم الله وهو أزلي من حيث كونه في السرمدية الإلهية، غير خاضع للزمان، ولا للغة، ولا للتاريخ.

القرآن في التاريخ وهو متجلٍّ في اللغة العربية، نازل في سياق اجتماعي، مخاطب للإنسان في الزمان والمكان.

فالقرآن أزلي في الجوهر، زمني في التجلّي. وهذا لا يعني ازدواج الحقيقة، بل اختلاف مستوى الوجود. كما أن الضوء واحد في مصدره، متعدد في انعكاساته، كذلك الكلمة الإلهية واحدة في حقيقتها، متعددة في ظهورها.

4. اللغة البشرية كوسيط لا كحدّ نهائي

إن الإشكال لم يكن في القرآن ذاته، بل في اللغة التي حملته. فاللغة زمنية، بشرية، سياقية، محدودة. لكنها في القرآن تصبح وسيطًا بين السرمدي، والزمني. وهذا يجعل القرآن حالة فريدة: كلام إلهي بلغة بشرية، ومطلق بصيغة نسبية، وأزلي في معنى، زمني في لفظ. ومن هنا يصبح سؤال خلق القرآن جزءًا من سؤال أوسع: كيف يظهر المطلق في التاريخ دون أن يفقد إطلاقه؟

5. أثر المحنة على فهم الوعي والوجود

لم تكن مسألة خلق القرآن منفصلة عن تصور الوعي والوجود. فمن يرى القرآن حادثًا صرفًا، قد يميل إلى تصور كون مادي محض، وقوانين منفصلة عن المعنى. ومن يرى القرآن أزليًا بلا تمييز، قد يميل إلى عزل النص عن التاريخ، وتجميده في صيغة فوق زمنية. أما الرؤية التركيبية فترى الكون متجدد بالخلق، والوعي متدرج، والقرآن جزء من هذا النسق الوجودي المتجلي. فالقرآن ليس حجرًا نزل من السماء، بل حدثًا وجوديًا في التاريخ.

6. المحنة بوصفها نموذجًا لصراع الأزلي والزمني

يمكن قراءة محنة خلق القرآن بوصفها المثال الأوضح للصراع بين من يريد حفظ المطلق من التغير، ومن يريد فهم ظهوره في الزمن. وهذا الصراع لا يزال قائمًا اليوم في قضايا تفسير النص، وعلاقة الدين بالعلم، والثابت والمتغير، والغيب والتاريخ. فالمحنة لم تنتهِ، بل تغيّرت صيغها.

7. من العقيدة إلى الفلسفة: إعادة فتح السؤال

لا يدعو هذا الفصل إلى إعادة إحياء الخلاف القديم، بل إلى إعادة فتحه بوصفه سؤالًا فلسفيًا مشروعًا: كيف يكون الكلام الإلهي أزليًا في معناه، وتاريخيًا في ظهوره؟ وهذا ينسجم مع رؤية الكتاب التي ترى الخلق فعلًا متجددًا، والوعي خاصية وجودية متدرجة، واللغة القرآنية كشفًا أنطولوجيًا لا مجرد بلاغة. فالقرآن ليس نصًا خارج العالم، بل جزء من حركة المعنى في العالم.

القرآن بين الجوهر والتجلّي: في المحنة، الرأيان وجهان لحقيقة واحدة، متطابقان جوهرياً ومختلفان إدراكياً. يمكن النظر إلى الخلاف حول «خلق القرآن» بوصفه خلافًا في مستوى الإدراك لا في حقيقة الوجود. فالرأيان المتقابلان – القول بخلقه والقول بأزليته – ليسا نقيضين في الجوهر، بل توصيفين لمستويين مختلفين من الحقيقة الواحدة. فالقرآن من حيث كونه في علم الله قائم منذ الأزل، مشمول بالسرمدية

الإلهية غير خاضع للزمان والمكان، لأنه كلام الله وصفة من صفاته. لكنه من حيث كونه وحيًا نزل في لغة بشرية، وفي سياق تاريخي محدد، وبألفاظ وحروف وأحداث زمانية، هو حادث في مظهره، مرتبط بالزمكان وشروط التاريخ. وهذان المستويان لا يمثلان حقيقتين متعارضتين، بل وجهين لحقيقة واحدة :أزليّة في الجوهر، وتاريخية في التجلّي .فالخلاف لم يكن في ماهية القرآن بقدر ما كان في زاوية النظر إليه: هل يُنظر إليه من جهة السرمدية الإلهية، أم من جهة ظهوره في العالم؟ وبذلك يصبح النزاع مثالًا كلاسيكيًا على التوتر بين المطلق والزمني، لا على تناقض بين الإيمان والعقل.

الزمن بين التغير والوعي والسرمدية

ليس الزمن، في هذه الرؤية، كيانًا مستقلًا قائمًا بذاته قبل الوجود، بل هو ثمرة إدراك التغير في الموجودات. فما نسميه «الزمان» ليس سوى طريقة الوعي في ترتيب التحولات: انتقال الشيء من حال إلى حال، ومن موضع إلى موضع، ومن صورة إلى أخرى. والموضع السابق الذي تحتفظ به الذاكرة هو ما نسمّيه ماضيًا، والموضع اللاحق الذي نتوقعه هو ما نسمّيه مستقبلًا، أما الحاضر فليس إلا لحظة وعي بالتغير المستمر. وبهذا المعنى، لا يكون الزمن جوهرًا أنطولوجيًا مستقلًا، بل لغة إدراكية لفهم الحركة والحدوث.

ومن هذا المنظور، لا يقع الخلق في زمان سابق عليه، بل يتولد الزمان نفسه مع فعل الخلق والتجدد. فالسرمدية الإلهية لا تُفهم بوصفها امتدادًا زمنيًا بلا نهاية، بل بوصفها مستوى وجود خارج مقولات «قبل» و«بعد». وما يظهر لنا كتعاقب زمني إنما هو تجلٍّ محدود لإرادة لا يحدّها زمن. وهكذا لا يعود السؤال: متى بدأ الخلق؟ بل: كيف يتجلى الوجود في الوعي؟ ولا يعود الزمن إطارًا يحتوي الفعل الإلهي، بل أثرًا من آثار ظهوره في العالم.

وبذلك يصبح الزمن وجهًا من وجوه العلاقة بين الوعي والخلق، لا حقيقة مطلقة قائمة بذاتها. فالكون في ذاته ليس «قديمًا» ولا «حادثًا» بالمعنى الزمني البسيط، بل هو فعل متجدد يُدرَك داخل أفق الوعي الإنساني بوصفه سلسلة من اللحظات. أما في علم الله، فإن البداية والنهاية، والماضي والمستقبل، حاضرة حضورًا واحدًا لا يخضع لتعاقب أو انتظار. وهنا يلتقي مفهوم الخلق المتجدد مع مفهوم السرمدية، في رؤية ترى أن الزمن ليس قيدًا على الوجود، بل أحد أشكال ظهوره في الإدراك البشري.

ولكن هل نفي الزمن بوصفه كيانًا مستقلًا يجعل الموجودات سرمدية مثل الله، متغيرة المواضع وليست مخلوقة؟ والجواب الدقيق هو :لا بالضرورة، إذا فرّقنا بين السرمدية والاعتماد الوجودي.

قد يُظنّ أن القول بأن الزمن ليس كيانًا مستقلًا، بل نتاج إدراك الوعي لحركة الأشياء وتغيّرها، يؤدي بالضرورة إلى اعتبار الموجودات سرمدية مثل الله، أو إلى نفي صفة الخلق عنها. غير أن هذا الاستنتاج لا يلزم منطقيًا ولا أنطولوجيًا. فالفرق الجوهري بين الله والعالم لا يقوم على الخضوع للزمن أو عدمه، بل على طبيعة الوجود ذاته: الله واجب الوجود قائم بذاته، أما الموجودات فممكنة الوجود قائمة بغيرها. وحتى إذا فُهم الزمن بوصفه صورة إدراكية للتغير، فإن الأشياء لا تصبح أزلية بذاتها، لأنها تظل مفتقرة في كل حال إلى الفعل الإلهي الذي يقيمها في الوجود. فحضورها في علم الله أزلي، لكن وجودها في العالم تجلٍّ متدرج يُدرَك عبر الحركة والتحول. وبذلك لا يُلغى مفهوم الخلق، بل يتحرر من كونه حادثة وقعت في لحظة زمنية أولى، ليُفهم بوصفه علاقة وجودية دائمة بين الخالق والمخلوق. فالسرمدية صفة للذات الإلهية وحدها، أما الموجودات فليست سرمدية في جوهرها، بل متجددة في ظهورها، ومخلوقة في اعتمادها، وإن بدا لنا تغيّرها على هيئة تعاقب زمني تصنعه الذاكرة والوعي.

أولًا: السرمدية ليست غياب الزمن فقط. فالسرمدية الإلهية ليست مجرد عدم الخضوع للتعاقب الزمني، بل هي الاكتفاء الذاتي في الوجود وعدم الاحتياج إلى سبب أو فعل يُوجدها، أما الأشياء (المخلوقات) فحتى لو لم نفهم وجودها داخل

زمن خطي، فهي تظل ممكنة الوجود، قائمة بغيرها، مفتقرة في كل آن إلى الفعل الإلهي. فالفرق الجوهري ليس في الزمن، بل في: هل الوجود قائم بذاته أم قائم بغيره؟

الله = واجب الوجود

العالم = ممكن الوجود

حتى لو أزلت مفهوم الزمن، يبقى هذا الفرق قائمًا.

ثانيًا: القول بأن الزمن نتاج الوعي لا يجعل الأشياء أزلية. حين نقول إن الزمن نتاج إدراكنا لحركة الأشياء وتغيّرها فإننا لا تقول إن الأشياء لم تُخلق، بل تقول إن"الحدوث" ليس حدثًا داخل ساعة كونية، بل علاقة وجودية متجددة، أي أن الشيء لا يصبح أزليًا لأنه يتحرك بلا زمن، بل يبقى محتاجًا في كل حال إلى من يُقيمه في الوجود. وهذا قريب جدًا من فكرة الخلق المستمر creatio continua و ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، فالشيء ليس قديمًا ولا مستقلًا، بل متجدد الوجود في كل آن إدراكي.

ثالثًا: الفرق بين السرمدية والتجلي. في منظور هذا الكتاب، الله سرمدي بالذات، خارج مقولات قبل/بعد، أما الأشياء فهي تظهر في الوعي كتغير لكنها ليست سرمدية بذاتها، بل سرمدية بالعلاقة، إن صح التعبير، أي حاضرة في علم الله منذ الأزل، لكنها ليست قائمة بذاتها. وهذا مهم جدًا: حضور الشيء في علم الله منذ الأزل – أزلية الشيء في وجوده الذاتي. كما قلنا عن القرآن: أزلي في الجوهر، زمني في التجلّي، كذلك الوجود معلوم أزليًا، مُتجلٍّ إدراكيًا.

رابعًا: هل تصبح الأشياء مجرد "تغير مواضع" لا خلقًا؟ لا، لأن التغير في الموضع يفترض وجودًا يُنقل، وهو نفسه يحتاج تفسيرًا. فحتى لو قلنا لا يوجد زمن، بل فقط تغير حالات، يبقى السؤال: من أين جاءت هذه الحالات أصلًا؟ ولماذا هي موجودة بدل ألا تكون؟ وهنا يبقى مفهوم الخلق قائمًا، ولكن ليس كحدث في

لحظة زمنية صفر، بل كفعل وجودي دائم. الخلق ليس "قبل وبعد" بل"اعتماد دائم".

خامسًا: هذه الرؤية لا تؤدي إلى وحدة وجود مادية. قد يبدو ظاهريًا أنها تقود إلى كون الأشياء سرمدية مثل الله، غير أن الفرق يتضح في أن السرمدية = مستوى إدراك إلهي بينما الزمان = مستوى إدراك بشري، وليس الوجود واحد بلا تمايز، بل هو أقرب إلى "الوجود قائم بالله" لا "الوجود هو الله".

خاتمة الفصل

من خلق القرآن إلى سؤال الوجود

لا يُعاد طرح مسألة «خلق القرآن» في هذا الكتاب بوصفها نزاعًا عقديًا تاريخيًا، بل بوصفها نموذجًا فلسفيًا لسؤال أعمق: كيف يتجلّى المطلق في النسبي، وكيف يظهر الأزلي في الزمني دون أن يفقد تعاليه؟ فالقضية ليست في كون القرآن مخلوقًا أو غير مخلوق بقدر ما هي في مستوى النظر إليه: هل يُفهم من جهة مصدره السرمدي أم من جهة ظهوره في التاريخ؟ وهذا ليس خطأً فكريًا، بل علامة على صعوبة السؤال نفسه.

فالكلام الإلهي لا يمكن اختزاله إلى حادث زمني صرف، ولا تجميده في أزلية معزولة عن التاريخ، بل هو: أزلي في مصدره، زمني في تجليه، كاشف عن علاقة دائمة بين الله والوجود.

ومن هنا ينتقل البحث من الكلام إلى الوجود، ومن النص إلى العالم، لأن الإشكال نفسه يتكرر في الكون كما تكرر في الوحي: هل الوجود حادث في الزمن فقط، أم هو فعل دائم قائم بالله؟ وهل العالم مادة صامتة أم تجلٍّ لمعنى؟ وبذلك تصبح محنة خلق القرآن مدخلًا فلسفيًا لفهم التوتر الدائم بين الجوهر والتجلّي، وبين الثابت والمتحول، وبين الله والعالم، لا بوصفه تناقضًا، بل بوصفه علاقة وجودية مفتوحة على التأويل.

الفصل الثامن

وحدة الوجود والتمايز بين الخالق والمخلوق

الفصل الثامن

وحدة الوجود والتمايز بين الخالق والمخلوق

بعد المرور على محنة خلق القرآن بوصفها تعبيرًا عن التوتر بين الأزلي والزمني، نصل إلى إشكال أنطولوجي أعمق: هل الوجود واحد في حقيقته أم متعدّد؟ وهل العالم هو الله، أم قائم بالله، أم منفصل عنه انفصالًا تامًا؟

لقد بلغ هذا السؤال ذروته في الخلاف حول مفهوم «وحدة الوجود»، الذي مثّل أحد أكثر القضايا حساسية في تاريخ الفكر الإسلامي، لأنه يمسّ مباشرة العلاقة بين الخالق والمخلوق، والمطلق والنسبي، والسرمدي والزمني، والوعي والكون.

ولا يسعى هذا الفصل إلى ترجيح مذهب عقدي على آخر، بل إلى تحليل بنية السؤال ذاته، والكشف عن إمكان قراءة تركيبية تتجاوز ثنائية الإذابة والقطيعة معاً.

1. معنى وحدة الوجود: وحدة الحقيقة أم وحدة المظهر؟

حين قال بعض الصوفية إن «الوجود واحد»، لم يقصدوا بالضرورة أن الله هو عين العالم، بل قصدوا أن الوجود الحقيقي واحد، وأن الكثرة مظاهر وتجليات لهذا الواحد. فالوحدة هنا ليست وحدة عددية، بل وحدة مصدر. والكثرة ليست أوهامًا، بل مراتب للظهور.

لكن هذه اللغة الرمزية، حين تُقرأ قراءة حرفية، تُفهم على أنها إلغاء للفارق بين الخالق والمخلوق، وهو ما أثار اعتراضًا شديدًا من علماء الكلام والفقه. فنشأ السؤال: هل نقول بوحدة الوجود؟ أم بوحدة الخالق وتعدد المخلوقات؟

2. ابن عربي: الوجود كتجلي لا كهويّة

يرى ابن عربي أن الوجود الحق واحد، وأن العالم ليس الله، بل مظهر لأسمائه وصفاته. فالخلق عنده ليس خروجًا من العدم، بل تجلّيًا مستمرًا للحقيقة الإلهية في صور متعددة. ويؤكد في مواضع كثيرة على التمييز بين الذات الإلهية الغيبية، وبين مظاهرها في العالم. فالكون عنده مرآة للأسماء، لا ذاتًا مستقلة، ولا إلهًا آخر. لكن لغته الرمزية (الحق هو الوجود) فتحت الباب لتأويلات حادة، بعضها ذهب إلى الحلول أو الاتحاد، وبعضها فهمها فهمًا فلسفيًا دقيقًا.

3. ابن تيمية: حماية التمايز بين الخالق والمخلوق

جاء ردّ ابن تيمية حادًا على مفهوم وحدة الوجود، لأنه رأى فيه خطرًا مباشرًا على التوحيد. فهو يصرّ على أن الله موجود بذاته، وأن العالم موجود بخلقه، وأن بينهما فرقًا جوهريًا لا يُلغى بأي لغة رمزية. ورأى أن القول بوحدة الوجود يؤدي إلى نفي العبودية، وتمييع الفرق بين الحق والباطل، وإدخال الفلسفة في العقيدة. لكن اعتراض ابن تيمية لم يكن على البعد الروحي، بل على تحويل التجربة الصوفية إلى نظرية أنطولوجية عامة.

4. جوهر الخلاف: الوجود أم العلاقة؟

إذا تأملنا الخلاف بعمق، نجد أنه ليس حول الله فقط، بل حول معنى الوجود نفسه، هل الوجود: شيء واحد ذو مراتب؟ أم وجودان منفصلان: خالق ومخلوق؟ هل العلاقة بينهما علاقة تجلٍّ؟ أم علاقة خلق فقط؟ أم علاقة حضور دائم؟ فالخلاف ليس لغويًا، بل تصوّريًا، هل نرى الكون بوصفه: قائمًا بالله؟ أم منفصلًا عنه استقلالًا كاملًا؟

5. بين وحدة الوجود والحلول: التمييز الضروري

من المهم التفريق بين وحدة الوجود الفلسفية، والحلول أو الاتحاد العقدي. فالحلول يقول إن الله يحل في الأشياء، والاتحاد يقول إن الله والكون شيء واحد. أما كثير من الصوفية، فيقولون: إن الوجود قائم بالله، وإن الكثرة تجليات، لا هويات مستقلة عن المصدر. وهذا أقرب إلى مفهوم: الكل في الله Panentheism لا إلى وحدة الوجود السبينوزية التي تجعل الطبيعة هي الله Monism/Pantheism.

6. أثر هذا الخلاف على تصور الوعي

هذا الخلاف لم يبقَ نظريًا، بل أثّر على فهم الوعي نفسه: إذا كان الوجود واحدًا، فالوعي ممتد في الكون بدرجات. وإذا كان الوجود منفصلًا تمامًا، فالوعي محصور في الإنسان. ومن هنا يتصل هذا الفصل مباشرة بمسألة شمولية الوعي، هل الكون: صامت ماديًا؟ أم مشارك في الحضور والمعنى؟

7. المسار الثالث: الوجود قائم بالله لا هو الله

يقترح هذا الكتاب مسارًا ثالثًا بين موقفين متقابلين: لا وحدة وجود تذيب التمايز، ولا تنزيه يعزل الله عن العالم. بل رؤية ترى أن الله متعالٍ عن العالم، والعالم قائم بالله، والوجود متجلٍّ بالأمر، والوعي درجات من الاستجابة لهذا الأمر.

فالكون ليس الله، لكنه ليس خارجَ الله، بل في علاقة دائمة به. وهذا ينسجم مع: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ دون أن يعني أن السماوات والأرض هي الله.

خاتمة الفصل

ركّز هذا الفصل على تحليل الخلاف حول مفهوم «وحدة الوجود» بوصفه تعبيرًا عن سؤال أنطولوجي عميق يتعلق بعلاقة الخالق بالعالم، لا مجرد اختلاف مذهبي أو لغوي. وبيّن أن الصراع بين لغة التجلّي الصوفية ولغة التنزيه الكلامية يعكس توترًا بين فهم الوجود كوحدة في المصدر وتعدّد في الصور، وبين الخوف من محو التمايز بين الخالق والمخلوق. ورأينا أن موقف ابن عربي يعبّر عن رؤية للوجود بوصفه تجلّيًا للأسماء الإلهية لا هويةً إلهية للعالم، بينما يمثّل موقف ابن تيمية دفاعًا صارمًا عن التمييز الأنطولوجي بين الله والكون. وكشف الفصل عن أن جوهر الخلاف ليس في الله ذاته، بل في معنى الوجود والعلاقة بين المطلق والنسبي. واقترح الكتاب مسارًا ثالثًا يرى أن الوجود قائم بالله لا هو الله، وأن الكثرة مظاهر للفيض الإلهي دون حلول أو اتحاد. وبذلك يؤسّس هذا التصور لرؤية توحيدية تركيبية تجمع بين التعالي الإلهي ودلالة العالم، وتربط مسألة وحدة الوجود بسؤال شمولية الوعي والمعنى في الكون.

ومن هنا ننتقل من التراث الإسلامي إلى الفلسفة الحديثة، ونسأل: كيف يفهم الفكر الحديث الوعي؟ وهل عاد السؤال بصيغة جديدة في نظريات شمولية الوعي؟ هذا ما سنبحثه في الفصل التاسع: الوعي في الفلسفة الحديثة: من المادة إلى التجربة الذاتية.

الفصل التاسع

الوعي في الفلسفة الحديثة: من المادة إلى التجربة الذاتية

الفصل التاسع

الوعي في الفلسفة الحديثة: من المادة إلى التجربة الذاتية

بعد استعراض التصورات القرآنية والتراثية حول الخلق وشمولية الوعي، ننتقل في هذا الفصل إلى الفكر الفلسفي الحديث، حيث عاد السؤال القديم بصيغة جديدة: ما الوعي؟ هل هو نتاج المادة؟ أم خاصية كونية؟ أم تجربة ذاتية لا تُختزل إلى الفيزياء؟

لقد شهدت الفلسفة الحديثة تحوّلًا عميقًا في مقاربة الوعي، انتقل من كونه مسألة لاهوتية أو ميتافيزيقية إلى كونه مشكلة علمية وفلسفية في آن واحد، ترتبط بالدماغ، والمجتمع، واللغة، والتجربة، والوجود.

1. الوعي بوصفه ظاهرة مادية: الاختزال العصبي

في القرنين التاسع عشر والعشرين، ساد اتجاه يرى أن الوعي ليس سوى وظيفة من وظائف الدماغ، وأنه يمكن تفسيره بالكامل عبر العمليات العصبية والكيميائية. وفق هذا التصور: الفكر = نشاط عصبي، والشعور = تفاعلات كهربائية، والمعنى = نتاج تطور بيولوجي.

وهذا الاتجاه، المعروف بالمادية الاختزالية، حاول إزالة أي بعد غيبي أو وجودي من مفهوم الوعي، وردّه إلى قوانين الطبيعة وحدها. غير أن هذا الموقف واجه مأزقًا عميقًا: كيف يمكن لحركة فيزيائية أن تنتج تجربة ذاتية **qualia**؟ كيف يولد الإحساس بالألم أو الحب أو اللون من معادلات رياضية؟

وهنا ظهر ما اصطلح الفيلسوف ديفيد تشالمرز على تسميته بمشكلة الوعي الصعبة (The Hard Problem of Consciousness).

2. ماذا تكشّف عن دراسات الدماغ والوعي الحديثة

يُعتبر الدماغ البشري البنية الأكثر تعقيداً في الكون، والعضو البيولوجي المتفوق على أدمغة الكائنات الحية الأخرى، فهو أكبر بكثير نسبةً إلى وزن الجسم من أدمغة الكائنات الحية الأخرى، بما في ذلك الثدييات الرئيسيات. يزن الدماغ حوالي 1.5 كيلوغرام، ويحتوي على ما يقارب 86 مليار خلية عصبية (عصبون) في المتوسط. تتشابك هذه الخلايا لتكوين شبكة معقدة تضم أكثر من 100 تريليون وصلة مشبكية، وهي مسؤولة عن الذاكرة، والتفكير، واللغة، والمشاعر التي تُشكل أساس القدرات المتقدمة كالإدراك والوعي.

ومن الثابت أن التغيرات في وظائف الدماغ تؤدي إلى تغيرات في الوعي. على سبيل المثال، تُغير الأدوية التي تؤثر على الدماغ التجارب الذاتية، كما أن تحفيز مناطق دماغية محددة يُمكن أن يُحدث أحاسيس في الجسد أو رؤى أو استجابات عاطفية معينة. مع ذلك، يبقى السبب الجوهري للوعي غير واضح.

يتميز الدماغ ببنية لا مركزية وموزعة، حيث تُعالج المعلومات عبر شبكات مترابطة بدلًا من مركز تحكم مركزي. مناطق مختلفة مسؤولة عن وظائف متميزة – كالبصر والسمع والكلام والحركة – ومع ذلك، تتفاعل هذه المناطق دون وجود مركز تحكم واحد.

على الرغم من ذلك، يبدو الوعي البشري موحدًا. يُوصف عادةً بثلاث طرق: كمحتويات الوعي في أي لحظة معينة، وكتدفق مستمر عبر الزمن، وكتجارب تُدركها الذات. تحدث معظم أنشطة الدماغ خارج نطاق الوعي، ولا يدخل إلى الوعي إلا جزء ضئيل منها.

يثير التمييز بين العمليات الواعية واللاواعية تساؤلات هامة. هل توجد منطقة أو نوع محدد من الخلايا العصبية مسؤول عن الوعي؟ هل توجد روابط عصبية فريدة تُنتج التجربة الواعية؟ على الرغم من وجود العديد من النظريات، إلا أن أياً منها لم يُقدم إجابات قاطعة.

قدّمت الأبحاث في الظواهر العصبية، مثل التداخل الحسي وإدراك الألم، رؤى ثاقبة حول الارتباطات العصبية للوعي. على سبيل المثال، يُعد الألم تجربة ذاتية وحدثاً عصبياً قابلاً للقياس، لكن الارتباط لا يعني السببية. ولا تزال العلاقة بين النشاط العصبي والتجربة الواعية موضوعاً للبحث المستمر.

ساعدت الدراسات التي تستخدم محفزات بصرية غامضة، مثل مكعب نيكر، في تحديد مناطق الدماغ المشاركة في الإدراك الواعي. ومع ذلك، فبينما تُظهر بعض المناطق تغيرات في النشاط تتوافق مع تحولات الوعي، فإن الآليات الدقيقة الكامنة وراء التجربة الواعية لا تزال غير مفهومة تماماً.

تُجسّد الاضطرابات العصبية، كالإهمال النصفي المكاني وفقدان الذاكرة، العلاقة المعقدة بين وظائف الدماغ والوعي. تُبيّن هذه الحالات إمكانية تشتت الوعي أو تغييره، مما يُشكّك في المفاهيم التقليدية للذات الموحدة.

3. الفجوة بين الموضوعي والذاتي

عجزت علوم الأعصاب ودراسات الدماغ من تحديد مصدر "الوعي والذات"، لكنها لم تفشل فشلاً مطلقاً، فقد أنتجت معرفة عميقة ومفصلة حول بنية الدماغ ووظائفه. مع ذلك، بقي "مصدر" الوعي و"الذات أساساً " مجهولاً، وذلك لأنها اعتمدت على افتراض إمكانية تفسير التجربة الذاتية (كيف يكون المرء) من خلال ملاحظات موضوعية من منظور الشخص الثالث (الخلايا العصبية، الإشارات الكيميائية، معالجة البيانات).

فيما يلي ذكر لأسباب العجز عن جسر الهوة بين "المشاكل السهلة" و"مشكلة الوعي الصعبة"

أ. "المشاكل السهلة" تتضمن تحديد الآليات في الدماغ التي تُقابل السلوكيات. (مثل ربط مناطق الدماغ بالرؤية أو السلوك أو الذاكرة).

"المشكلة الصعبة": تتساءل عن سبب مصاحبة هذه العمليات الفيزيائية لأي تجربة ذاتية على الإطلاق.

الفجوة: لا يوجد رابط منطقي معروف يفسر كيف يتحول نشاط الدماغ الموضوعي (إطلاق الخلايا العصبية) إلى شعور ذاتي (الإحساس باللون أو الألم أو الفرح).

ب. معضلة الذاتية مقابل الموضوعية: يعتمد علم الأعصاب على أساليب علمية من منظور الشخص الثالث (المسح، والتصوير، وعلم وظائف الأعضاء الكهربائية).

الذاتية: الوعي ذاتي بطبيعته، ولا يمكن الوصول إليه إلا من الداخل من قِبل الشخص الذي يختبره.

عقول مبهمة: عقولنا مبهمة بالنسبة لنا؛ فنحن ندرك نتائج أفكارنا (الذات أو الشعور)، ولكننا لا ندرك الآلية التي تُنتجها.

التناقض: لا يستطيع العلماء ملاحظة منظور الشخص الأول؛ فهم يلاحظون فقط "تقريراً" عنه.

ج. مفارقة الدماغ الذي يدرس نفسه: من القيود الأساسية أن الدماغ يحاول دراسة نفسه.

الإحالة الذاتية: بما أن المُلاحِظ هو نفسه الموضوع المُلاحَظ، فهناك "حلقة إحالة ذاتية".

محدودية المقياس: كما هو الحال مع المقياس الذي لا يستطيع قياس طوله، قد يكون الدماغ محدودًا في قدرته على فهم تجربته الذاتية فهمًا كاملًا.

د. الارتباط لا يعني السببية: يركز جزء كبير من علم الأعصاب الحديث على الارتباطات العصبية للوعي (NCCs) – وهي "الآليات العصبية الدنيا التي تُعد مجتمعةً ضرورية وكافية لتجربة أي إدراك واعٍ".

محدودية الارتباط: إن إظهار أن جزءًا معينًا من الدماغ ينشط عندما تكون "سعيدًا" لا يُفسر سبب كون هذا التنشيط سعادة، أو ما إذا كان هو سبب هذا الإحساس.

مشكلات نظرية الهوية: يُعتبر الاعتقاد بأن "أنت دماغك" غير كافٍ، حيث لا يستطيع النشاط العصبي تفسير القصدية تفسيرًا كاملًا – أي حقيقة أن عقلنا الواعي "يهتم" بأشياء خارج ذاته.

هـ. الذات كـ "وهم" (الرؤية الإقصائية): يرى بعض الباحثين (مثل دانيال دينيت، وباتريشيا تشيرشلاند، وكيث فرانكيش) أن علم الأعصاب لم يكتشف الذات بعد، لأن "الذات" مجرد نموذج ذهني، أو واجهة سهلة الاستخدام أنشأها الدماغ – أي وهم.

الواجهة سهلة الاستخدام: "الذات" هي ببساطة وسيلة للتمييز بين الذات والآخر، ولتنظيم المعلومات، وليست كيانًا ماديًا جوهريًا صلبًا.

استنتاج خاطئ: نظرًا لعدم قدرتنا على الوصول المباشر إلى العمليات العصبية (إطلاق الخلايا العصبية للنبضات)، فإننا نستنتج خطأً وجود "كيان" كامن (الذات) لا بد أنه المتحكم.

و. "الرؤية من اللا مكان": يسعى العلم إلى "رؤية من اللا مكان" (موضوعية)، والتي لا تستوعب "وجهة نظر" (ذاتية). النظرة المادية الخالية من الشخص: غالبًا ما تفترض العلوم المادية أن الدماغ آلةٌ خالية من الشخص، مما يجعل من المستحيل تحديد منشأ "الملكية" أو "وجهة النظر" في المادة الفيزيائية.

ز. تفسيرات بديلة وتوجهات مستقبلية: نظرًا لهذه التحديات، يقترح بعض الباحثين أنه بدلًا من اختزال الوعي إلى المادة، قد يكون سمةً أساسيةً للكون (وحدة الوجود النفسي) (psychological pantheism)، أو أن علم الأعصاب بحاجة إلى تجاوز النماذج الكلاسيكية ودراسة المجالات الكهرومغناطيسية التي تولدها أنسجة الدماغ.

باختصار، على الرغم من التقدم الملحوظ في رسم خريطة الأساس العصبي للوعي، لا تزال العديد من الأسئلة الجوهرية عالقة. ولا تزال طبيعة الدماغ اللامركزية والطابع الذاتي للتجربة الواعية تُشكّل تحديات أمام الفهم العلمي.

4. الوعي كتجربة ذاتية: حدود العلم

استطلعنا بعض الجدلُ حول مفهوم الذات في الفلسفة والعلم والدين. فبينما يشعر كثيرون بامتلاكهم ذاتًا داخلية أو روحًا، تُجادل وجهات النظر العلمية بأن عمليات الدماغ كافية لتفسير التجربة، دون الحاجة إلى "ذات" منفصلة. وبالإضافة الى ما مر معنا، يجب ذكر بعض الآراء الفلسفية، حيثُ فرّق فلاسفةٌ مثل ديريك بارفيت بين "نظرية الأنا"، التي تُؤكد أننا ذواتٌ متصلة، و"نظرية الحزم"، التي تُشير إلى أننا مجرد مجموعة من التجارب المُترابطة بالذاكرة. وقد أيّد ديفيد هيوم نظرية الحزم، مُجادلًا بأن الذات ليست كيانًا مُستقلًا، بل حزمة من الأحاسيس.

غالبًا ما تُؤيد الأديان الرئيسية نظرية الأنا، مُفترضةً وجود أرواح أو ذوات دائمة، لكن البوذية ترفض ذلك، مُعلّمةً أن الذات وهمٌ وأن المعاناة تنبع من التشبث بهذا الوهم. كما يستكشف علم الأعصاب الحديث هذه الأفكار، لا سيما من خلال حالاتٍ مثل مرضى انفصال نصفي الدماغ، حيث ينقسم الدماغ ويبدو أنه يدعم تياراتٍ مُتعددة من الوعي.

تُظهر التجارب التي أُجريت على التنويم المغناطيسي واضطراب الهوية الانفصامية أن الدماغ الواحد قادر على استيعاب تجارب واعية متعددة، مما يُشكك في فكرة الذات الواحدة الموحدة. وتسعى نظرياتٌ عديدة إلى تفسير الذات، بدءًا من تمييز

ويليام جيمس بين "الأنا" و"الذات"، وصولًا إلى النماذج العصبية التي ترى الذات كعملية أو سردية لا ككيان ثابت.

مع تطور الفلسفة التحليلية، برزت فكرة أن الوعي لا يُختزل إلى وصف خارجي، لأنه يقوم على الخبرة الداخلية، والإحساس، والمعنى الشخصي. فالدماغ يمكن قياسه، لكن التجربة لا تُقاس. وهذا فتح المجال للقول إن الوعي ليس مجرد وظيفة فيزيائية، بل بُعد وجودي لا يمكن استيعابه بالعلم التجريبي وحده. وهنا عاد سؤال قديم بصيغة جديدة: هل الوعي ظاهرة في العالم؟ أم نافذة على معنى العالم؟

باختصار، قد لا تكون الذات كيانًا دائمًا لا يتغير، بل بناءً مفيدًا أو سلسلة من التجارب. وقد يكون تقبّل هذا الأمر صعبًا، لأنه يُشكك في بديهيات راسخة حول الهوية والاستمرارية.

5. عودة السؤال الكوني: "النفسانية الشاملة"، "الروحية الشاملة"، أو "مذهب وحدة الوعي" (Panpsychism).

في الفلسفة المعاصرة، عاد طرح فكرة أن الوعي ليس حكرًا على الإنسان، بل خاصية أساسية من خصائص الوجود نفسه. يقول بعض الفلاسفة (مثل غالين ستروسون): إذا كانت المادة تنتج الوعي، فلا بد أن يكون في المادة نفسها بعدٌ إدراكي أولي. وهكذا نشأت نظريات ترى أن لكل موجود درجة من الإدراك، وأن الوعي طيف لا قفزة، وأن العقل البشري ليس معجزة منعزلة، بل ذروة مسار كوني. وهذا يلتقي – من حيث البنية – مع الرؤية القرآنية لشمولية الوعي، دون أن يتطابق معها في المصدر أو الغاية.

6. الوعي الاجتماعي: ماركس ومانهايم

انتقل السؤال من الفرد إلى المجتمع: رأى ماركس أن الوعي يتشكل داخل البنية الاقتصادية والاجتماعية. ورأى مانهايم أن الأفكار ليست مستقلة، بل مرتبطة بالموقع الاجتماعي والتاريخي. فالوعي هنا ليس ذاتيًا فقط، ولا كونيًا فقط، بل

تاريخي واجتماعي. وهذا يكشف أن الوعي ليس جوهرًا ثابتًا، بل علاقة بين الإنسان والعالم والزمان.

7. اللاوعي: فرويد وانقسام الذات

جاء فرويد ليقلب صورة الذات الواعية، ويكشف أن الإنسان لا يعي نفسه بالكامل، وأن تحت الوعي طبقات من الرغبات والدوافع والذكريات المكبوتة. فالوعي لم يعد سيّد نفسه، بل جزء من بنية نفسية أوسع. وهذا يعيدنا إلى فكرة أن الوعي ليس وحدة بسيطة، بل درجات ومستويات.

8. الوعي والمعنى: من الفيزياء إلى الفلسفة

تبيّن الفلسفة الحديثة أن الفيزياء تشرح كيف يعمل الكون، لكن لا تشرح لماذا له معنى. فالوعي هو النقطة التي يلتقي فيها الكون بالمعنى، والمادة بالتجربة، والوجود بالسؤال. وهذا يعيد السؤال إلى جذره الأنطولوجي: هل الكون بلا معنى إلا حين يظهر الإنسان؟ أم أن المعنى جزء من بنية الوجود نفسه؟

9. مقارنة مع الرؤية القرآنية

إذا قارنا هذه المسارات بالرؤية القرآنية، نلاحظ أن الفلسفة الحديثة تسأل: كيف ينشأ الوعي من المادة؟ والقرآن يسأل: كيف يشارك الوجود كله في التسبيح والطاعة والمعنى؟

الفلسفة تبحث عن السبب، والقرآن يكشف عن العلاقة. وكلاهما يواجه حدود اللغة والعقل في فهم هذه الظاهرة.

وتشير بعض الآيات إلى أن الوعي الإنساني نفسه موهبة إلهية:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ – ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾

خاتمة الفصل

يكشف الفكر الفلسفي الحديث أن الوعي لم يعد مسألة نفسية فقط، بل سؤالًا عن طبيعة الوجود نفسه. وقد تنوّعت الإجابات بين: اختزال مادي، وتجربة ذاتية، وشمولية كونية، ووعي اجتماعي، ولاوعي نفسي.

لكنها جميعًا تعترف بعجز التفسير البسيط. وهذا يعيدنا إلى الرؤية التي يقترحها هذا الكتاب: أن الوعي ليس حادثًا عرضيًا في كون صامت، بل درجة من درجات العلاقة بين الوجود والمعنى.

لماذا فشل الاختزال المادي في تفسير الوعي؟

لم يفشل الاختزال المادي في تفسير الوعي بسبب نقص المعطيات العلمية، بل بسبب محدودية الإطار الفلسفي الذي ينطلق منه. فهو ينجح في وصف الارتباطات العصبية للتجربة الواعية، لكنه يعجز عن تفسير لماذا تكون هذه العمليات الفيزيائية مصحوبة بخبرة ذاتية أصلًا، أي لماذا يوجد إحساس ومعنى وشعور من الداخل. إن الانتقال من وصف النشاط العصبي الموضوعي إلى تفسير التجربة الذاتية يفترض جسرًا مفهوميًا لا توفره الفيزياء ولا الكيمياء، لأن أدواتهما تعمل من منظور الشخص الثالث، بينما الوعي يُعاش من منظور الشخص الأول. وهكذا يكشف فشل الاختزال المادي أن الوعي ليس مجرد وظيفة فيزيائية، بل ظاهرة أنطولوجية تتجاوز حدود التفسير الآلي، وتعيد طرح سؤال المعنى بوصفه جزءًا من بنية الوجود لا عرضًا طارئًا عليه.

ومن هنا يصبح الانتقال ضروريًا إلى الفصل التالي، حيث نعود إلى التراث الإسلامي لنسأل: كيف فهم علم الكلام والتصوف والفلسفة الإسلامية الوعي؟

هذا ما سنبحثه في الفصل الحادي عشر: الوعي في التراث الإسلامي: العقل، القلب، والتسبيح الكوني.

الفصل العاشر

الوعي في التراث الإسلامي: العقل، القلب، والتسبيح الكوني

الفصل العاشر

الوعي في التراث الإسلامي: العقل، القلب، والتسبيح الكوني

بعد استعراض مسارات الوعي في الفلسفة الحديثة، نعود في هذا الفصل إلى التراث الإسلامي لنكتشف أن سؤال الوعي لم يكن غائبًا عنه، بل كان حاضرًا بصيغ متعددة: عقلية، كلامية، فلسفية، وروحية.

لماذا يَجمَع التراث الإسلامي بين العقل والقلب والكون في مفهوم الوعي؟

لم يتعامل الفكر الإسلامي مع الوعي بوصفه وظيفة دماغية فقط، بل بوصفه علاقة بين الإنسان والله، وأداة لفهم العالم، وجسرًا بين المعرفة والأخلاق، ومشاركة في نظام كوني أوسع من الإنسان وحده. فالعقل أداة إدراك وتمييز، والقلب موضع الشهود والمعنى، والكون مجال الآيات والاستجابة، ولا يكتمل أي منها دون الآخر. بهذا المعنى، لا يُختزل الوعي في التفكير المنطقي، ولا في التجربة الباطنية وحدها، بل يُفهم بوصفه شبكة من الإدراك الأخلاقي والروحي والكوزمولوجي. ويعكس هذا الجمع تصورًا توحيديًا يرى أن المعرفة ليست انفصالًا عن الوجود، بل مشاركة فيه، وأن الإنسان لا يعي ذاته إلا داخل نظام كوني قائم بالله ومفتوح على المعنى.

وقد تشكّلت في هذا التراث ثلاث مقاربات كبرى: الوعي العقلي (علم الكلام والفلسفة)، والوعي القلبي (التصوف)، والوعي الكوني (تسبيح الموجودات).

1. العقل أساس التكليف: المعتزلة والوعي الأخلاقي

جعلت المعتزلة العقل أصلًا في فهم الدين والتكليف، ورأت أن الإنسان يدرك الخير والشر بعقله قبل ورود النص. فالوعي هنا هو قدرة على التمييز، ومسؤولية أخلاقية، واستقلال نسبي في الفهم. واعتبروا أن الله لا يكلّف إلا من يعقل، لأن

التكليف بلا وعي ظلم، والله منزه عن الظلم. وهذا جعل الوعي عندهم وعيًا أخلاقيًا قبل أن يكون معرفيًا، ومرتبطًا بالعدل الإلهي، لا بالقدرة البيولوجية وحدها.

2. الأشاعرة: العقل محدود والوعي مرتبط بالوحي

في المقابل، رأى الأشاعرة أن العقل مهم، لكنه غير كافٍ وحده لمعرفة الحسن والقبح، وأن الوعي الحقيقي يتشكل بالوحي. فالوعي هنا ليس مصدر القيم، بل متلقٍ لها، ومفتوح على الغيب.

وهذا لا يعني إلغاء العقل، بل وضعه داخل إطار أوسع من المعرفة، حيث العقل يدرك، والوحي يهدي، والقلب يشهد. وهكذا يظهر الوعي في صورة: وعي معرفي، وعي شرعي، وعي روحي.

3. الفلاسفة المسلمون: الوعي والنفس والعقل الفعّال

ربط الفلاسفة المسلمون (كالفارابي وابن سينا) الوعي بمفهوم النفس الناطقة والعقل الفعّال، فالوعي عندهم هو قدرة على إدراك الكليات، وانتقال من الحس إلى العقل، واتصال بالعقل الكوني. والإنسان الواعي هو من يترقى من الإدراك الحسي إلى الإدراك العقلي إلى الاتصال بالمعنى الكوني. وهنا يصبح الوعي مرتبة في سلم الوجود، لا حالة نفسية فقط.

4. التصوف: القلب بوصفه مركز الوعي

في التصوف، ينتقل مركز الوعي من العقل إلى القلب. فالقلب ليس عضوًا بيولوجيًا، بل موضع الإدراك الروحي، ومحل المعرفة بالله، ومركز الشهود.

أكدت آيات قرآنية عديدة أن القلب هو مركز الوعي، الفهم، التدبر، والتفكير، وليس مجرد عضلة للدم، حيث وصفه القرآن بـ "التعقل" و"الفقه".

من أبرز الآيات التي توضح ذلك:

القلب مركز التعقل: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (الحج: 46).

القلب مركز الفقه والفهم والوعي: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا} (الأعراف: 179).

القلب مركز التدبر: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد: 24).

القلب مركز الختم والطبع عند الجهل: {كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم: 59).

القلب مركز الاطمئنان والإيمان: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد: 28).

القلب مركز الغفلة: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا} (الكهف: 28).

تُشير هذه الآيات إلى أن القلب هو مصدر التوجيه، التفكير، واتخاذ القرارات الإيمانية والأخلاقية.

الآيات القرآنية تذكر القلب كمركز للوعي: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ تشير بوضوح أن الفقه هنا ليس عقلًا منطقيًا فقط، بل إدراك وجودي مباشر. والوعي الصوفي يقوم على: الذكر، والمراقبة، والتجربة، والشهود. وهذا يفتح تصورًا للوعي يتجاوز الفكر إلى الحضور.

5. تسبيح الموجودات: حال أم إدراك؟

اختلف المفسرون والمتكلمون في فهم تسبيح الموجودات. قال بعضهم: هو تسبيح حال ودلالة، لا إدراك. وقال آخرون: بل هو تسبيح حقيقي لا نفقه كيفيته. وهذا الخلاف يعكس تصورين للكون: كون صامت يدل على الله بوجوده فقط، وكون واعٍ يشارك في العبادة بطريقته الخاصة. وهنا يظهر بوضوح أن مسألة الوعي الكوني كانت مطروحة داخل التراث، لا دخيلة عليه.

6. الوعي والمراتب الوجودية

يجتمع في التراث الإسلامي تصور للوجود بوصفه ذا مراتب، للإنسان وعي تكليفي أخلاقي، للحيوان إدراك وحس، وللنبات: نمو واتجاه، وللجماد انتظام وتسبيح. فالوعي ليس قفزة فجائية، بل تدرج في الوجود. وهذا ينسجم مع رؤية الخلق المتجدد، والكون القائم بالله، وشمولية العلاقة بين الوجود والمعنى.

7. الوعي والمعرفة بالله

لم يكن الوعي في التراث الإسلامي غاية في ذاته، بل طريقًا إلى معرفة الله، وفهم العالم، وتحقيق العبودية. فالوعي ليس حيادًا معرفيًا، بل موقف وجودي، ومسؤولية، وعلاقة. ولهذا ارتبط دائمًا بالتقوى، والخشية، والبصيرة، لا بالمعلومة فقط.

خاتمة الفصل

يكشف التراث الإسلامي أن الوعي لم يُفهم يومًا بوصفه وظيفة عقلية فقط، بل بوصفه عقلًا يدرك، وقلبًا يشهد، وكونًا يسبّح. فهو وعي أخلاقي، وروحي، كوزمولوجي في آن واحد. وقد تنوّعت مدارسه بين عقلانية المعتزلة، وتنزيه الأشاعرة، وفلسفة الفلاسفة، وشهود الصوفية. لكنها جميعًا تشترك في رؤية الوعي بوصفه علاقة بين الإنسان والوجود والله.

ومن هنا ننتقل ملخص الفصول السابقة: نحو رؤية تركيبية: الخلق، الوعي والسرمدية.

الفصل الحادي عشر

ملخص الفصول السابقة: نحو رؤية تركيبية: الخلق، الوعي، والسرمدية

الفصل الحادي عشر

نحو رؤية تركيبية: الخلق، الوعي، والسرمدية

بعد أن تتبعنا مسارات الخلق في القرآن، وشمولية الوعي في النصوص، ومررنا على بعض الخلافات الكلامية والفلسفية حول الكلام الإلهي ووحدة الوجود، ثم قارنا ذلك بالفلسفة الحديثة ونظرياتها في الوعي، نصل في هذا الفصل إلى محاولة تركيبية لا تهدف إلى حلّ جميع الإشكالات، بل إلى إعادة صياغتها في أفق أوسع.

فالسؤال لم يعد هل الخلق من عدم أو من مادة؟ هل الوعي خاص بالإنسان أو شامل للكون؟ هل القرآن مخلوق أم أزلي؟ بل أصبح السؤال الأعمق: ما طبيعة العلاقة بين الله والوجود والمعنى؟ وهل الكون حادث صامت، أم فعل متجدد مشحون بالدلالة والوعي؟

1. الخلق بوصفه فعلًا دائمًا لا لحظة منتهية

تكشف القراءة القرآنية أن الخلق ليس واقعة ماضية مغلقة، بل فعل مستمر، وتجدد دائم، وعلاقة قائمة بين الإرادة الإلهية والكون: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾. فالوجود ليس شيئًا أُنجز ثم تُرك، بل حدثٌ يتجدد في كل آن. وهذا يحرر مفهوم الخلق من التصور الميكانيكي، والزمان الخطي البسيط، ويجعله أقرب إلى حضور دائم للمعنى في الوجود.

2. الوعي بوصفه علاقة لا خاصية منعزلة

لم يظهر الوعي في هذا الكتاب بوصفه وظيفة دماغية فقط، ولا كجوهر مستقل عن العالم، بل بوصفه علاقة بين الموجود والأمر الإلهي، واستجابة للمعنى، وحضورًا أمام الحق. فالإنسان أرقى درجات هذا الوعي، لكنه ليس بدايته. فالكون كله يسبّح، ويسجد، ويشهد، ويطيع، كلٌّ بطريقته .وهذا يفتح تصورًا للوعي بوصفه طيفًا وجوديًا متدرجًا، لا قفزة بيولوجية معزولة.

3. السرمدي والزمني: لا قطيعة ولا ذوبان

أظهرت محنة خلق القرآن والخلافات حول وحدة الوجود أن الفكر الإسلامي واجه دائمًا سؤالًا واحدًا بأشكال متعددة: كيف يحضر الأزلي في الزمني؟

والرؤية التركيبية لا تقول إن الأزلي منفصل عن التاريخ، ولا تقول إن التاريخ هو الأزلي ذاته، بل تقول: الأزلي يتجلّى في الزمني دون أن يُختزل فيه، والزمني يشير إلى الأزلي دون أن يحتويه. فالقرآن أزلي في مصدره، وزمني في لغته، وكوني في معناه. وكذلك الخلق سرمدي في الإرادة، وتاريخي في الظهور، ودائم في العلاقة.

4. الكون مجال للمعنى لا مادة صماء

حين يُفهم الخلق والوعي بهذه الطريقة، يتحول تصور الكون من آلة صامتة إلى مجال للمعنى. فالنجوم ليست أجرامًا فقط، بل آيات. والأرض ليست مادة فقط، بل شاهدة. والزمن ليس تعاقبًا فقط، بل ساحة تجلٍّ. وهذا لا يناقض العلم، بل يكمله: العلم يشرح كيف يعمل الكون، والرؤية الوجودية تشرح لماذا له دلالة.

5. الإنسان: نقطة التقاء الوعي الكوني بالوعي الأخلاقي

في هذه الرؤية، لا يحتل الإنسان مركز الكون بالقوة، بل بالمسؤولية. فالإنسان هو الكائن الذي يعي وعيه، ويُسأل عن استجابته، ويُحاسب على علاقته بالمعنى. ولهذا ارتبط الوعي في القرآن دائمًا بالأخلاق، والعدل، والشهادة، والأمانة. فالوعي ليس معرفة فقط، بل التزام وجودي.

6. ما الذي تضيفه هذه الرؤية؟

هذه الرؤية التركيبية لا تدّعي تأسيس علم جديد، ولا نقض الفيزياء، ولا إنتاج عقيدة بديلة، بل تقترح إطارًا فلسفيًا وروحيًا لفهم الخلق بوصفه فعلًا ذا معنى، والوعي بوصفه علاقة كونية، والقرآن بوصفه خطابًا أنطولوجيًا، والإنسان بوصفه

شاهدًا لا مالكًا. وهي رؤية تتجنب الاختزال المادي، وتتجنب الحلول والذوبان، وتحافظ على التمايز مع العلاقة، وعلى التنزيه مع الحضور.

خاتمة الفصل

إن الجمع بين الخلق المتجدد، والوعي المتدرج، والسرمدية المتعالية، يكشف عن تصور كوني يرى الوجود ليس مجرد مادة تتحرك، بل معنى يتجلّى، وعلاقة تُستجاب، وحضورًا دائمًا بين الله والعالم.

وبذلك لا يعود الكون سؤالًا فيزيائيًا فقط، ولا الوعي لغزًا عصبيًا فحسب، بل يصبحان معًا جزءًا من سؤال أعمق: كيف يكون الوجود ممكنًا بوصفه معنى، لا بوصفه صمتًا؟

وهنا يبلغ هذا الكتاب غايته الفلسفية :ليس في تقديم أجوبة نهائية، بل في إعادة فتح سؤال الوجود والوعي في أفق توحيدي يتجاوز الثنائية بين العلم والدين، وبين المادة والمعنى، وبين الزمن والسرمدية.

الفصل الثاني عشر

الإرادة الحرة بين الفلسفة والعلم والقرآن

الفصل الثاني عشر

الإرادة الحرة بين الفلسفة والعلم والقرآن

الحرية في كونٍ محكوم بالقانون

تبدو الإرادة الحرة واحدة من أكثر أفكار الإنسان بداهةً والتباسًا في آن واحد: نحن نختبر الاختيار كحقيقة داخلية، ونبني الأخلاق والقانون والمحاسبة على افتراضه، ثم نفاجأ بأن صور العالم العلمية، من السببية الفيزيائية إلى علوم الدماغ، توحي بأن أفعالنا قد تكون جزءًا من نظام محكوم مسبقًا.

لا يسعى هذا الفصل إلى تقديم «برهان قاطع» على الحرية أو نفيها، بل إلى إعادة صياغة السؤال ضمن أفقٍ أكثر تركيبًا:

كيف يمكن للإنسان أن يكون فاعلًا ومسؤولًا داخل كونٍ تحكمه قوانين؟ وهل الحرية تعني كسر السببية، أم تعني نمطًا أرقى من السببية: سببية واعية موجّهة بالمعنى؟

لماذا تتمسّك الفلسفة بفرضية الحرية؟

تنبع الحجج المؤيدة لوجود الإرادة الحرة عمومًا من التجربة الذاتية، وضرورة المسؤولية الأخلاقية، وطبيعة التفكير الواعي والإبداع. وغالبًا ما تُطرح هذه الحجج في معارضة الحتمية الصارمة، وهي النظرة القائلة بأن جميع الأحداث، بما في ذلك خياراتنا، مُحددة مسبقًا بأسباب سابقة.

الحجج الرئيسية المؤيدة للإرادة الحرة

أ. التجربة الذاتية للاختيار: تُعدّ التجربة الشخصية القوية والمباشرة لاتخاذ القرارات والشعور بالسيطرة عليها من أكثر الحجج شيوعًا. فمن اختيار وجبة طعام إلى تحديد مسار مهني، يشعر الأفراد بشعور من الاستقلالية والقدرة على التصرف، وهو شعور داخلي باتخاذ خيارات غير مُقيدة. وغالبًا ما تُعتبر هذه التجربة المُعاشة دليلًا بديهيًا على الإرادة الحرة.

ب. المسؤولية الأخلاقية: تستند مفاهيم القانون والمكافأة والعقاب والذنب والثناء إلى افتراض المسؤولية الأخلاقية الفردية. وتفترض هذه الحجة الفلسفية أن محاسبة الناس على أفعالهم لا تكون عادلة إلا إذا كان بإمكانهم اختيار التصرف بشكل مختلف عن قصد. لو كانت الأفعال مُحددة مسبقًا، لكانت العقوبة تخدم غرضًا نفعيًا فقط (مثل الردع) بدلًا من غرض جزائي قائم على الاستحقاق الأخلاقي.

ج. التروي والعقلانية: عملية التروي – أي موازنة الخيارات ودراسة العواقب – تعني أن النتيجة لم تُحسم بعد. إن أفعال النصح والإقناع والتحذير ذاتها لا تكون منطقية إلا إذا كانت لدى الناس القدرة على الاختيار بين مسارات عمل مختلفة ممكنة.

د. الإبداع والابتكار: يُطرح الإبداع البشري والقدرة على تخيل إمكانيات جديدة وتحقيقها من خلال خيارات غير مُحددة مسبقًا كدليل على الإرادة الحرة. وهذا يشير إلى مستوى من اتخاذ القرارات العفوية لا ينتج ببساطة عن سلسلة متصلة من الأسباب الفيزيائية السابقة. تُنشئ تقنية النانو تركيبات جزيئية جديدة لم يسبق للكون أن شكلها.

هـ. الحجج البراغماتية: يجادل البعض بأنه، حتى لو كانت الإرادة الحرة وهمًا، فإن الإيمان بها ضروري لمجتمع فعال ورفاهية شخصية. يمكن أن يعزز هذا المفهوم السلوك الاجتماعي المسؤول، ويشجع الشعور بالهدف، وهو ضروري للتنقل في

العالم بطريقة هادفة. أما البديل (الإيمان بالحتمية الصارمة) فقد يؤدي إلى العدمية أو اليأس لدى البعض.

المواقف الفلسفية الكبرى: الحتمية، الليبرتارية، والتوافقية

يمكن تلخيص المشهد الفلسفي في ثلاث رؤى:

(أ) الحتمية الصارمة:

كل حدث – بما في ذلك القرار – نتيجة حتمية لأسباب سابقة، وبالتالي فالإرادة الحرة وهم. تؤكد الحتمية الصارمة أن الحتمية صحيحة، ولأنها لا تتوافق مع الإرادة الحرة، فإن الإرادة الحرة غير موجودة.

كان ألبرت أينشتاين من أشدّ المؤمنين بالحتمية، واعتبر الإرادة الحرة وهمًا. وكثيرًا ما استشهد بالفيلسوف آرثر شوبنهاور والفيلسوف سبينوزا للتعبير عن معتقداته.

فيما يلي بعض الأمثلة الرئيسية حول الإرادة الحرة بالنسبة إلى ألبرت آينشتاين:

وجد أينشتاين في فكرة شوبنهاور العزاء والرؤية الثاقبة، القائلة بأن "الإنسان يستطيع أن يفعل ما يشاء، لكنه لا يستطيع أن يريد ما يشاء"، مشيرًا إلى أن هذا المفهوم أرشده طوال حياته وساعده على تقبّل أفعال الآخرين. وشعر أن هذا الفهم لغياب الإرادة الحرة منعه من أخذ نفسه والآخرين على محمل الجدّ ككيان مستقل، وساعده على الحفاظ على رباطة جأشه.

لتوضيح وجهة نظره، استخدم أينشتاين تشبيهًا بالقمر، مشيرًا إلى أنه لو كان لديه وعي، لاعتقد أنه يتحرك من تلقاء نفسه. وألمح إلى أن مراقبًا أكثر ذكاءً سينظر إلى إيمان البشرية بالإرادة الحرة على أنه وهم أيضًا.

حول السلوك البشري والمسؤولية، وعلى الرغم من حتميته الفلسفية، أدرك أينشتاين الحاجة العملية للتصرف كما لو أن الإرادة الحرة موجودة داخل المجتمع. وصرح بأنه رغم عدم إيمانه بالإرادة الحرة، إلا أنه مُجبر على التصرف كما لو أن الناس مسؤولون عن العيش في مجتمع متحضر.

(ب) الليبرتارية (اللاحتمية):

ترفض الحتمية وترى أن الإنسان مصدر نهائي لأفعاله (بمعنى أنه كان يمكنه حقًا أن يفعل خلاف ما فعل). الليبرتالية هي موقف لا توافقي يدّعي أن الحتمية خاطئة وأن البشر يمتلكون إرادة حرة حقيقية، أي القدرة على أن يكونوا المصدر النهائي أو المنشئ لأفعالهم.

(ج) التوافقية:

ترى أن الحرية لا تعني الخروج من شبكة الأسباب، بل تعني الفعل وفق الدوافع والأسباب الداخلية دون إكراه خارجي قاهر؛ أي: حرية بوصفها «تملّكًا واعيًا للفعل» داخل نظام سببي.

هذا الفصل يقترب من التوافقية، لكنه لا يكتفي بصيغتها التقليدية، بل يعيد تعريف السببية والحرية معًا.

إعادة تصور الصراع الجوهري: يمكن إعادة صياغة النقاش بين مؤيدي الإرادة الحرة والحتمية ضمن هذا النموذج الجديد:

حجج ضد الإرادة الحرة (القوانين التنازلية):

تُسلط الحجج الحتمية الضوء على الثوابت الكونية الشاملة وقانون السببية والقوانين الأساسية التي تحكم الوجود كله، بما في ذلك الفكر والفعل البشري.

تسير القوانين الفيزيائية بمكونات الكون للوصول إلى مأزق "مُبرمج مسبقًا"، لا إرادة لنا فيه ولا اختيار.

في نهاية المطاف، مع أن الشعور بالإرادة الحرة تجربة إنسانية عالمية، إلا أن وجودها كقدرة ميتافيزيقية فعلية يبقى بحثًا فلسفيًا وعلميًا عميقًا ومستمرًا.

حجج الإرادة الحرة (الآلية التصاعدية):

إن التجربة الذاتية للاختيار والمسؤولية الأخلاقية ليست وهمًا، بل هي العملية التي تعمل من خلالها القوانين الطبيعية الأساسية.

القدرة على الفعل: تُمثل قدرتنا على التدبر والاختيار آلية "تصاعدية" للتغيير. نشعر بأننا نختار "بإرادتنا"، وهذا الشعور ضروري لتحفيز الإجراءات اللازمة لتحقيق البناء والتقدم.

لماذا يفشل نموذج «قوة خامسة» خارج السببية؟

يتضح هذا جليًا عند دراسة أسباب فشل نموذج "القوة الخامسة خارج السببية" عند استحضاره لقوة إرادة حرة منفصلة وغير مادية، وكيف يخلق هذا النموذج مشاكل ميتافيزيقية أكثر مما يحل. فهذه القوة المفترضة تحتاج إلى التدخل في العالم المادي دون انتهاك قوانين الحفظ، والتأثير على المادة العصبية دون أي نقل طاقة قابل للكشف، وأن تظل غير قابلة للكشف علميًا مع كونها العامل الحاسم في الفعل البشري. لا يُفسر هذا المفهوم الحرية؛ بل يُعيد تسمية اللغز ويُدخل خللًا خارقًا للطبيعة في كونٍ كان من الممكن فهمه. علاوة على ذلك، فإن الحرية التي تتحقق بكسر سلسلة السببية لا يمكن التعرف عليها كحرية على الإطلاق؛ بل لا يمكن تمييزها عن العشوائية. والعشوائية – أي حدوث فعل دون سبب – ليست إرادة؛ بل هي عينها." فقدانها.

السببية ليست سلسلة، بل مجال

للتخلص من هذا المأزق، يجب علينا تحديث مفهومنا حول سلسلة السببية، فهي ليست سلسلة، بل مجال. إن الصورة الكلاسيكية النيوتونية للسببية – سلسلة جامدة من الدفعات الحتمية – هي تبسيط مفرط. يشير الفهم الحديث، المستند إلى ميكانيكا الكم ونظرية التعقيد وعلم الأحياء النظمي، إلى أن السببية يُنظر إليها بشكل أفضل على أنها متعددة الطبقات، واحتمالية، وسياقية للغاية. وهي تعمل من خلال وضع القيود وتمكين مساحات الاحتمالات أكثر من عملها من خلال فرض نتائج دقيقة. ضمن حدود القانون الفيزيائي، غالبًا ما يكون من الممكن فيزيائيًا وجود احتمالات مستقبلية متعددة. أي مستقبل محدد سيظهر ليس دائمًا محددًا بتفاصيل دقيقة للغاية من خلال الحالة السابقة للكون. السببية، في هذا المنظور الأشمل، لا تملي كل التفاصيل؛ بل تحدد المشهد وقواعد اللعبة.

عدم الحتمية بدون فوضى

يشير هذا إلى حقيقة عدم الحتمية بدون فوضى. على المستويات الأساسية التي جاء وصفها في فيزياء الكم، يُعدّ عدم التحديد سمةً متأصلةً في الواقع. يمكن للأحداث أن تقع دون أن تكون محددةً مسبقًا بدقة، ومع ذلك، فإنها تحدث ضمن نطاقات مقيدة إحصائيًا ودون انتهاك البنية العامة للقانون الفيزيائي. هذه الانفتاحية الجوهرية ليست، في حد ذاتها، حرية. إن "اختيار" الإلكترون الاحتمالي ليس نموذجًا للإرادة البشرية. لكن عدم التحديد الأساسي يُنشئ مساحةً – انفتاحًا وجوديًا – في أساس الواقع. تتطلب الحرية مثل هذا الانفتاح، لكن الانفتاح وحده غير كافٍ. إنه المادة الخام، وليس المنتج النهائي.

الوعي كمُنتقي، لا كمُنتهك

العامل النهائي هو الوعي كمُنتقي، لا كمُنتهك. لا يعمل الوعي بتجاوز القانون الفيزيائي. إنه يعمل ضمن المساحة الواسعة التي يسمح بها القانون الفيزيائي، حيث توجد نتائج متعددة ومسموح بها فيزيائيًا – سواء في حالات عدم التحديد الدقيقة

للعمليات العصبية أو في حالات الغموض الكلية لبنية معقدة. في لحظة اتخاذ القرار، يؤدي الوعي دوره المحوري. فهو يُقيّم الأفعال المحتملة بناءً على معناها المتوقع، ويُدمج الذاكرة والنوايا المستقبلية، ويؤجل رد الفعل التلقائي، ويختار من بين البدائل. هذا الاختيار ليس عشوائيًا، بل هو مُستنير بقيم متراكمة على مدار العمر، وهوية شخصية مُشكّلة، وفهم دلالي للعالم. هنا تحديدًا تنشأ الحرية، لا كهروب من السببية، بل كملاحة واعية مُوجّهة بالقيم ضمن المجال السببي. إنها السببية التي تُصبح مُوجّهة ذاتيًا.

الحرية كانفتاح مُهيكل

لذلك، يُمكننا تعريف الحرية بأنها انفتاح مُهيكل. الحرية الحقيقية ذات المعنى ليست غيابًا تامًا للقيود، بل هي بنية مُحددة تتطلب ثلاثة عناصر:

1. القيود: قوانين وهياكل ثابتة تُتيح نتائج قابلة للتنبؤ وأفعالًا موثوقة. بدون حدود، يتحول الفعل إلى فوضى غير مُترابطة.

2. البدائل: تعدد حقيقي للمستقبلات المسموح بها فعليًا للاختيار من بينها. بدون خيارات حقيقية، يكون الفعل مجرد إكراه.

3. التأمل: القدرة الواعية على نمذجة هذه البدائل. البدائل، وموازنتها وفقًا للقيم، ثم اختيار أحدها. بدون هذا الوعي، يفتقر الفعل إلى الشعور بالملكية.

المسؤولية دون عبء ميتافيزيقي

توجد هذه الشروط الثلاثة بقوة ضمن الأنظمة الطبيعية المعقدة كالدماغ البشري. إذن، الحرية ليست انفتاحًا مطلقًا، بل هي انفتاح منظم – القدرة على الإبداع الواعي والتأملي الذاتي ضمن عالم تحكمه القوانين.

يدعم هذا الإطار بشكل طبيعي مفهوم المسؤولية دون عبء ميتافيزيقي. فلو كانت أفعالنا محددة بشكل كامل وآلي بحالات سابقة، لكان مفهوم المسؤولية بلا معنى –

لكنا مجرد دمى متحركة. ولو كانت أفعالنا بلا سبب على الإطلاق، لاستحالت المسؤولية – لما أمكن محاسبتنا على أحداث عشوائية. تجد المسؤولية مكانها المنطقي في المنطقة الوسطى: فهي موجودة لأننا فاعلون نعمل ضمن قيود معروفة، ونستطيع فهم العواقب المحتملة لأفعالنا، ولو واجهنا ظروفًا مماثلة، لكان بإمكاننا الاختيار والتصرف بشكل مختلف بناءً على التأمل والتقييم. وهذا أساس كافٍ للمسؤولية الأخلاقية والقانونية. لا يتطلب الأمر روحًا خارجة عن المادة، بل ذاتًا واعية ومتكاملة سببيًا ومعقدة بما يكفي.

الحرية والمعنى والاستمرارية

نرى إذًا أن الحرية والمعنى والاستمرارية لا تنفصل. فالاختيار الحر ليس مجرد انتقاء خيار من قائمة، بل هو تأكيد لقيمة، والتعبير عن جانب من جوانب الهوية، وتوسيع نطاق السرد المتماسك للحياة. أما الاختيار الذي لا يحمل معنى – كرمي قطعة نقدية للبت في الأمر، أو ارتعاش عصبي عشوائي – فلا يُنظر إليه كفعل حر، بل كحدث اعتباطي أو غريب. الحرية، بمعناها الأعمق، هي الأداة التي تُرسّخ بها الذات هويتها عبر الزمن، وتُؤلف قصتها بفعالية ضمن السرد الكبير لواقع قائم على القانون.

التأمل اللاهوتي دون تدخلية

من منظور لاهوتي، يُحررنا هذا الرأي من التدخلية. إنّ منح الحرية من الله لا يستلزم تعليقًا دوريًا للقانون الطبيعي، كما لو أن الله يتدخل لكسر قيود الحتمية التي تكبّلنا. بل إنّ الحرية موجودة لأنّ النظام الكوني مُنظّمٌ بطبيعته – مفهوم، ومنفتح، ومتدرّج – بطريقة تسمح بالمشاركة الواعية، بل وتُنمّيها. فالخلق ليس آلة حتمية، ولا هو ساحة فوضوية للمعجزات. إنه نظام متماسك وكريم، منفتح بما يكفي لاستحضار شراكة حقيقية من داخله.

الحرية كوظيفة، لا كاستثناء

وهكذا، نستنتج أن الإرادة الحرة وظيفة، لا استثناء. إنها ليست شذوذًا خارقًا للطبيعة مُضافًا إليها. إنها وظيفة رفيعة المستوى تنشأ بشكل طبيعي عندما تتلاقى التعقيدات المادية، والتكامل الواعي، والمعنى الدلالي. وهي تنشأ بشكل قانوني من خصائص الكون؛ وتعمل وفقًا لمبادئ السببية الواعية. فالحرية ليست غياب السببية. إنها السببية التي تُصبح واعية بذاتها، وتُشكّل نفسها بنفسها، وتُوجّه نفسها بنفسها. إنها الكون، في صورة كائن واعٍ، يتعلم كيف يُوجّه نفسه ضمن تياراته الخاصة.

استكمال البنية

مع هذا الفهم، تكتمل البنية في إطار مفهوم الثابت والمتحول في الوجود. يُوفّر الثابت البنية والقيد غير القابلين للتفاوض – القانون الفيزيائي، والضرورة البيولوجية، والشكل المنطقي. يُوفّر المتغير مجال التعبير والتكيف والشكل الجديد. ينشأ الوعي كواجهة تكاملية حيث يُترجم الشكل إلى معنى. تعمل الحرية كقدرة على الاختيار الواعي ضمن الانفتاح الذي يُوفّره المتغير، المُقيّد بالثابت. والتوازن الديناميكي هو المبدأ الذي يُحافظ على تماسك الكل عبر الزمن. لم يُضَف شيء بلا داعٍ – لا قوى خامسة، ولا انقطاعات خارقة للطبيعة. لم يُزَل شيء بشكل تعسفيٍ – يبقى المعنى والمسؤولية والاختيار الأصيل سليمة، مُتجذّرة في الواقع."

الإرادة الواعية في أبحاث علوم الدماغ الأعصاب

يثير مفهوم الإرادة الحرة تساؤلاً هاماً: هل نمتلكها حقاً؟ عندما نقوم بفعل إرادي، كتحريك معصمنا مثلاً، يبدو الأمر وكأنه قرار واع. مع ذلك، تشير الأدلة العلمية إلى أن عمليات دماغية متعددة تشارك في بدء الأفعال الإرادية، ولا تزال الآلية الدقيقة غير واضحة. تُظهر الدراسات التشريحية العصبية أن الحركات الإرادية تُفعّل عدة مناطق في الدماغ، بما في ذلك قشرة الفص الجبهي، وقشرة ما قبل الحركة، وقشرة الحركة الأولية، حيث تُسهم كل منها في تخطيط الحركة وتنفيذها.

على الرغم من ذلك، لا يزال دور الوعي في اتخاذ القرارات محل نقاش. تُشير تجارب، كتجربة ليبت، إلى أن النشاط الدماغي المرتبط بالحركة يبدأ قبل أن يُدرك الأفراد بوعي نيتهم في الفعل. تُشكك هذه النتيجة في المفهوم التقليدي القائل بأن الإرادة الواعية تسبق الأفعال الإرادية وتُسببها.

من الناحية الفلسفية، تُعد مسألة الإرادة الحرة معقدة. تفترض الحتمية أن جميع الأحداث مُحددة مسبقاً بأسباب سابقة، مما يترك مجالاً ضئيلاً للاختيار الحقيقي. يرى البعض أن الإرادة الحرة والحتمية لا تتوافقان، بينما يرى آخرون أن اتخاذ القرارات المعقدة ضمن إطار حتمي كافٍ للمسؤولية الأخلاقية.

قد يكون الشعور بالسيطرة الواعية مجرد وهم، إذ تُظهر الدراسات النفسية والعصبية أن الناس قادرون على القيام بأفعال دون وعي كامل، وقد يُنسبون الإرادة إلى غيرهم. وتتجلى هذه الظاهرة في حالات مثل الحركات العضلية اللاإرادية وبعض الاضطرابات النفسية.

في نهاية المطاف، ورغم قوة التجربة الذاتية للإرادة الحرة، تشير وجهات النظر العلمية والفلسفية إلى أنها قد لا تعكس قوة سببية كامنة. ومع ذلك، يؤثر هذا التصور على السلوك ومفاهيم المسؤولية.

أثبتت تجربة عالم الأعصاب بنيامين ليبيت عام 1985 أن النشاط الدماغي اللاواعي (جهد الاستعداد) يسبق النية الواعية بالحركة بنحو 300–500 مللي ثانية، مما يشير إلى أن الأفعال الإرادية تبدأ لاشعورياً. اقترحت النتائج أن الوعي يقرر الحركة بعد تولّدها عصبياً، مما أثار جدلاً حول كون "الإرادة الحرة" وهماً.

طُلب ليبيت من المشاركين في تجربته القيام بثني رسغهم على الأقل 40 مرة، في الأوقات التي يريدونها، وقاسَّ ثلاثة أشياء، وهي: الوقت الذي تم فيه الفعل، والوقت الذي بدأ فيه النشاط الدماغي في القشرة الحركية، والوقت الذي اتخذوا فيه القرار على نحو واع بالقيام بالفعل.

أظهر فحص (EEG) أن التوقيت الزمني لنشاط الدماغ (جهد الاستعداد) (Readiness Potential - RP) يسبق (النية الواعية) بالحركة بنحو 300-500 مللي ثانية، قبل أن يبلغ المشاركون عن نيتهم الواعية (إرادة الحركة)، و(الفعل الحركي الفعلي). اقترح ليبيت أن الدماغ يبدأ الفعل قبل أن نعي به، لكنه أشار إلى أن الوعي لا يزال يحتفظ بإمكانية تغيير أو إيقاف الفعل في اللحظة الأخيرة.

في عام 2007، أجرى عالم الأعصاب جون ديلان هاينز، من مركز بيرنشتاين لعلوم الأعصاب الحاسوبية في برلين، ألمانيا، تجربةً جديدة. في كل تجربة، مُنح المشارك فترة زمنية لاتخاذ قرار والتصرف بناءً عليه. كان القرار إما الضغط على زر باليد اليسرى أو زر باليد اليمنى. في الوقت نفسه، كان المشارك يشاهد شاشةً تعرض سلسلة من الأحرف بسرعة متتالية. طُلب من المشاركين تحديد الحرف الذي كان يظهر على الشاشة لحظة اتخاذهم قرار الضغط على أحد الزرين.

بينما استخدم ليبت تقنية تخطيط كهربية الدماغ (EEG)، استخدم هاينز تقنية التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI) الأكثر تطورًا. تسجل كلتا التقنيتين وظائف الدماغ أثناء عملها، لكن قراءة التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي توفر دقة مكانية أعلى، إذ تُحدد بدقة أكبر أجزاء الدماغ المحددة أثناء تنشيطها. ادّعى هاينز أنه من خلال تحليل بيانات التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي لمنطقة محددة في الدماغ، وهي القشرة الأمامية الأمامية، استطاع التنبؤ بالزر الذي سيختاره الشخص الخاضع للدراسة – يمينًا أم يسارًا – بدقة تصل إلى 60% قبل سبع ثوانٍ كاملة من إدراكه الواعي لقراره.

مع ذلك، لا يزال قليل من العلماء مقتنعين بأن هذا يُنهي حرية الإرادة. يشير مارسيل براس، من جامعة غنت في بلجيكا، إلى أن نسبة 60% ليست أفضل بكثير من الصدفة، لكنه يضيف: "هذا يُظهر أن قراراتنا تتأثر بأحداث تحدث في دماغنا قبل اتخاذ القرار. لكنه لا يُثبت أن قراراتنا مُحددة مسبقًا بشكل كامل". ويتفق معه جيف ميلر، من جامعة أوتاغو في نيوزيلندا، قائلاً: "إن اكتشاف أن نشاط الدماغ يتنبأ بالقرار لا يُقوّض حرية الإرادة". وأوضح أن نشاط الدماغ

المستخدم في التنبؤ قد يكون مجرد ميل نحو خيار دون آخر، وأن القرار النهائي قد يكون قد اتُخذ بوعي.

ويُقرّ هاينز نفسه بهذا الاحتمال. ربما لا تُمثل هذه الإشارة المبكرة قرارًا نهائيًا، بل هي مجرد إشارة تُوجهك نحو اتجاه معين، لكنها لا تُحسم قرارك بشكل نهائي. إذن، ما المقصود بـ "حسم القرار"؟

يقول هاينز: "إنها ليست الإرادة الحرة. فالقرارات تنجم عن عمليات دماغية لا واعية، ثم يتدخل الوعي لاحقًا". ويرى هاينز أن قراراتنا الواعية مُحددة مسبقًا بنشاط الدماغ، حتى وإن لم نتمكن بعد من فك شفرة هذا النشاط بالكامل. ويضيف: "إن اعتقادك بامتلاكك إرادة حرة هو تجربة شخصية. إنه أمر غير معقول، ويتنافى مع حتمية الكون العلمي".

غير أن الدلالة الفلسفية لهذه النتائج ليست حاسمة لسببين على الأقل:

- إن سبق الإشارة العصبية لا يساوي حسم القرار: قد يمثل «ميلاً» أو استعدادًا لا قرارًا نهائيًا.
- كما أن الحرية – وفق تصور العديد من الباحثين – ليست لحظة شرارة منفصلة، بل عملية تكامل وتقييم وتأجيل واستجابة عبر طبقات زمنية متعددة داخل النظام العصبي نفسه.

وبذلك لا تنفي هذه التجارب إمكان الحرية، لكنها تنقلها من صورة «زرّ واعٍ يضغط» إلى صورة أكثر تعقيدًا :القرار كتكوين تدريجي داخل منظومة واعية.

إشكال مشيئة الإنسان في إطار مشيئة الله

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الإنسان: 30

تضعنا هذه الآية الكريمة تحديداً أمام مفارقةً لاهوتيةً جوهرية:

1. الجبرية :كل شيء مقدر، والإرادة وهم.
2. القدرية :الله يعلم مسبقاً، لكن لا يجبر.
3. الأشعرية :الله خالق أفعالنا، يخلق كل شيء، ولكن الإنسان "يكتسب" كل شيء.

يقترح هذا الكتاب قراءة تُميّز بين مستويين:

- مشيئة الله :مشيئة تأسيسية تخلق النظام نفسه: قوانينه، واحتمالاته، وشروطه، وقدرته على إنتاج فاعلية واعية.
- مشيئة الإنسان :مشيئة فعلية تعمل داخل هذا النظام بوصفها قدرة على ترجيح أحد الممكنات على غيره، وفق المعرفة، والقيم، والنية.

بهذا المعنى، لا تُلغى مشيئة الإنسان، بل تُفهم بوصفها جزءًا من "كرم الخلق": لقد شاء الله أن يخلق عالمًا يمكن داخله للاختيار أن يكون حقيقيًا وذو معنى.

يشمل علم الله "شجرة الاحتمالات" بأكملها – الشروط الأولية، والقوانين، والاحتمالات الكمّية. الكون نظام ديناميكي ذو نقاط اختيار حقيقية. يعلم الله كل مسار ممكن، والمسار الذي سيسلكه كل كائن واعٍ. لذا، فإن العلم الإلهي لا ينفي حرية الإرادة؛ بل يشمل جميع الخيارات الممكنة.

التجلي مقابل التطور: لسنا مجرد تجليات سلبية لخطة مُسبقة، بل نحن مشاركون فاعلون في نظام غني يشمل:

* الضرورة (القوانين الطبيعية)

* الاحتمالية (ميكانيكا الكم)

* الحرية (الكائنات الواعية)

خياراتنا حقيقية ضمن هذا النظام، وعلم الله يشمل جميع مستويات التفاعل.

التشبيه: الكون كسرد تفاعلي

في القصة التقليدية، يكتب المؤلف كل التفاصيل، ولا تملك الشخصيات أي إرادة. أما في السرد التفاعلي، فيصمم المؤلف الإطار والشخصيات والسيناريوهات، لكن الشخصيات تتفاعل وفقًا لصفاتها، مما يؤدي إلى نتائج متعددة محتملة. يعرف المؤلف جميع النهايات المحتملة وما سيحدث، لكنه لا يكتب كل فعل. وبالمثل، خلق الله نظامًا يُولّد الأفعال من خلال الاختيار الحقيقي.

الخلاصة: علم الله شامل، لكن الواقع ليس "فيلمًا مكتوبًا مسبقًا"؛ إنه نظام معقد يصنع تاريخه بنفسه. هناك حتمية على المستوى الأساسي، لكنها حتمية غنية تتيح إمكانيات وخيارات حقيقية. يمكن فهم قول الله تعالى: " وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا " على النحو التالي: شاء الله أن يخلق نظامًا يتمتع فيه خلقه بحرية حقيقية.

الله عالم المستقبل ووهم الزمن

قد يتساءل بعضنا: إذا كان الزمن مجرد بناء ذهني وذاكري – حيث يتألف الماضي من مواقع مُتذكرة، والحاضر من الحالة الراهنة، والمستقبل من مواقع مُتوقعة – فإن الزمن نفسه لا يمر حقًا؛ بل الاجسام والحركة ضمن إحداثيات المكان هما الموجودان فقط. يُمثل الانفجار العظيم بداية الحركة والفضاء، بمعزل عن أي مُراقب بشري يُنشئ إحساسًا بالزمن، وهذا يُثير تساؤلًا فلسفيًا: كيف يُمكن التوفيق بين هذا المنظور والإيمان بأزلية الله وفكرة أن الوجود قديم في المعرفة الإلهية، ولكنه لم يتجل إلا مع الانفجار العظيم؟

من منظور فيزيائي، قد يكون الزمن سلسلة من الأحداث في الذاكرة، بينما الكون كتلة ثابتة، والعقل يُنشئ وهم التدفق. حتى بدون مُراقبين، هناك تسلسل سببي موضوعي، فالتغيير حقيقي، حتى وإن لم يكن الزمن كذلك. من الناحية اللاهوتية، الله خارج نطاق الزمن، يرى جميع اللحظات في آن واحد. المعرفة الإلهية بالمستقبل ليست تنبؤًا، بل رؤية مباشرة لكتلة الزمكان بأكملها.

1. يكمن أحد الحلول الممكنة في التمييز بين مستويات الزمن:

* الزمن المادي: ينشأ من الحركة والتغير، وقد يكون وهميًا من منظور أعلى.

* الزمن السببي/المنظم: تسلسل منطقي حقيقي للأحداث، مستقل عن المراقبين.

* المنظور الإلهي: الله أزلي سرمدي، خارج نطاق الزمن، يعلم جميع الأحداث ككل، ككاتب يرى القصة كاملة دفعة واحدة.

وبالتالي، يكمن الوهم في تجربتنا الذاتية لانتظار المستقبل، لا في حقيقة الأحداث نفسها. فالمستقبل موجود في علم الله كجزء من الخلق الكلي. وسواء كان الكون حتميًا أم يسمح بالحرية، فالله هو خالق النظام ويعلم جميع النتائج.

باختصار، قد يكون الزمن البشري وهمًا، لكن الزمن السببي حقيقي وجزء من الخلق. والله، لكونه خارج نطاق الزمن، يعلم جميع الأحداث كحقيقة واحدة. لا يوجد تناقض بين علم الله الأزلي ووجود الزمن في الخلق. فالزمن إطار مخلوق، بينما علم الله أزلي ويشمل جميع الترتيبات الزمنية دفعة واحدة.

إن الإدراك البشري بطبيعته خطي وزمني، إذ يعالج المعلومات بشكل تسلسلي ويفهم المفاهيم من خلال السبب والنتيجة، قبل / بعد. في المقابل، تتجاوز المعرفة الإلهية هذه القيود، شاملةً جميع الأحداث في آنٍ واحد. يمكن تشبيه ذلك بكاتب يدرك روايته كاملةً دفعةً واحدة، بينما تعيش الشخصيات أحداثها بشكل خطي.

ويوضح تشبيه رياضي هذا التمييز: فبينما نختبر الكون لحظةً بلحظة، يعلم الله الحل الكامل لمعادلاته الحاكمة في كل الأوقات. مع ذلك، لا يعني هذا حتميةً مطلقة. تُظهر النماذج العلمية المعاصرة، مثل نظرية الفوضى وميكانيكا الكم، أن الأنظمة قد تكون حتميةً، ولكنها غير قابلة للتنبؤ، وأن الاحتمالات تلعب دورًا أساسيًا. تشمل المعرفة الإلهية جميع النتائج والمسارات الممكنة، بما في ذلك تلك الناشئة عن عدم اليقين الكمي والأنظمة المعقدة.

ومن المهم الإشارة إلى أن المعرفة الشاملة لا تعني التحكم الآلي. فقد خلق الله نظامًا تحكمه قوانين وشروط ابتدائية واحتمالات وعلاقات، مما يُنتج التعقيد والظواهر الناشئة، بما في ذلك الوعي والإرادة الحرة.

يتمثل التحدي الفلسفي المحوري في التوفيق بين العلم الإلهي المطلق والإرادة الحرة الحقيقية. تتراوح الحلول التقليدية بين الحتمية والتوافقية، لكن المنظور الحديث يشير إلى أن الله يعلم جميع مسارات القرار الكوني الممكنة، والخيارات التي ستُتخذ، دون أن ينفي حقيقة تلك الخيارات.

بدلاً من أن نكون مجرد تجليات سلبية لخطة مُسبقة، فنحن مشاركون فاعلون في نظام غني يسمح بالضرورة والاحتمالية والحرية الحقيقية. خياراتنا حقيقية وذات مغزى ضمن هذا الإطار، والمعرفة الإلهية تشمل جميع مستويات التفاعل.

2. الحل (التركيبي) المفضل لدي هو رؤية مثالية نسبية للمراقب[5] مقترنة برؤية "وحدة الوجود الإلهي" (وحدة الوجود الشاملة) Panentheism:

لنفترض أن الواقع الأساسي يتكون من الأجسام في الفضاء وحركاتها. "الزمن" ليس كيانًا جوهرياً، بل هو التجربة المتولدة عندما يُرتب مراقب واعٍ هذه الحركات في

---

[5] في ميكانيكا الكم، يُعرَّف المراقب بأنه كائن واعٍ أو أي نظام يتفاعل مع جسم كمومي، مثل الفوتون أو الكاشف أو حتى جزيئات الهواء، وذلك بهدف "قياس" حالته. ويُعرف تأثير المراقب بأنه عملية قياس نظام كمومي تتفاعل معه المراقبة حتمًا، مما يُغير خصائصه ويؤدي إلى انهيار الدالة الموجية إلى حالة جسيمية.

تسلسل من الذاكرة (الماضي)، والانتباه (الحاضر)، والتوقع (المستقبل). بدون مراقب، توجد حركة ولكن لا يوجد "زمن".

الله هو المراقب الأزلي اللامتناهي. والكون بأسره – مادته وطاقته وجميع الحركة – موجود ضمن حقيقة الله. العقل الكلي (وعي) الله يُولي اهتمامًا أبديًا لكل موضع وكل انتقال. هذا الاهتمام الإلهي ليس تسلسليًا؛ بل هو إدراك شامل ومتزامن لكل حركة. بالنسبة لله، لا يوجد "ماضٍ" ولا "مستقبل"، بل الحاضر الأبدي الديناميكي لكل الوجود في حركة دائمة.

لذا، لا يُمثّل الانفجار العظيم بداية الوجود، بل بداية سلسلة محددة من الحركات التي يختبرها وعينا القائم على العقل الكلي ويراها كجزء من التاريخ الكوني. إنّ "المستقبل" حقيقي، ليس كصفحة لم تُكتب بعد، بل كمجموعة من المواقع والحركات الموجودة بالفعل في مجال الانتباه الإلهي، والتي سنواجهها، نحن المستكشفين المحدودين في رحاب الله، بالتتابع.

في هذا المنظور، لا يوجد تناقض: فأزلية الله هي الفعل الأبدي لمراقبة كل حركة. وزمننا هو وهم التسلسل الذي نبنيه من تلك الحركة. المعرفة الإلهية كاملة لأن الله هو الوسيلة التي تتكشف فيها قصة الكون.

ووفقًا لهذه الرؤية:

"الحركة" هي الأساس. إنها علاقة بين المواقع في الفضاء.

"الزمن" ثانوي. ليس بُعدًا ولا وعاءً. إنه نتاج معرفي يُنتجه مُراقب واعٍ عندما يتذكر موقعًا سابقاً (مُنشئًا "الماضي")، وينتبه إلى موقع حالي (مُنشئًا "الحاضر")، ويتنبأ بموقع مستقبلي (مُنشئًا "المستقبل").

الوعي هو مُولِّد الزمن. بدون مُراقب = لا "زمن"، فقط حركة. الصخرة لا تُدرك الزمن؛ الكائن الواعي يُدركه.

الله هو المُراقب المطلق. قبل وجود أي وعي محدود، كان وعي الله السرمدي (ولا يزال، أزليًا) "حاضراً شاهداً رقيباً" على الحركات والمواقع الحاضرة في الله. مُراقبة الله لا تُنشئ الزمن، لأن نمط مراقبة الله ليس تسلسليًا. مُراقبة الله تُحافظ على حقيقة الحركة نفسها.

هذا يعني أن الحركة لا تتطلب زمنًا؛ إنها تتطلب فقط المراقب حقيقي.

في هذا النموذج:

الكون في الله (وحدة الوجود الشاملة: كل شيء ضمن الحقيقة الإلهية).

حركات الكون وتغيراته هي تغيرات حقيقية بالنسبة لله. الله ليس حقيقة ساكنة؛ الله هو اللانهائي؛ كل حركة ديناميكية للخلق تحدث في الله. علمه ليس صورة جامدة، بل هو انتباه لانهائي وفعّال لجميع المواقع وانتقالاتها.

زمننا البشري هو طريقتنا المحدودة والمتسلسلة لفهم هذه الديناميكية الإلهية اللانهائية.

هذا توليفة أفكار من الفلسفة العملية، واللاهوت الكلاسيكي والتفسيرات المثالية لميكانيكا الكم (حيث يؤدي الرصد إلى انهيار الدالة الموجية).

القرآن الكريم والإرادة الحرة

في القرآن الكريم، تؤكد آيات عديدة على حرية اختيار الإنسان، ومسؤوليته الشخصية عن أفعاله (الإرادة الحرة) في إطار (المشيئة الإلهية) العامة، حيث يُحاسب الإنسان على أساس اختياره للهدى أو الضلال، مما يبرز مبدأ "لا إكراه في الدين."

من أبرز الآيات التي تشير إلى الإرادة الحرة والاختيار الشخصي:

حرية الإيمان أو الكفر" :وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" (الكهف: 29).

المشيئة الإنسانية المقيدة بمشيئة الله" :وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (التكوير: 29).

تحمل نتيجة الاختيار" :إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" (الإنسان: 3).

تغيير النفس" :إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ" (الرعد: 11).

الهدى والضلال اختيار شخصي" :فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا" (الإسراء: 15).

نفي الإكراه" :لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" (البقرة: 256).

"جاءت مادة راد (رود) ومشتقاتها في القرآن الكريم (132) مرة بمعنى الإرادة، المشيئة، الأمر، القصد، المحبة، والطلب. فإذا نسبت إلى الذات الإلهية فهي المشيئة والأمر، وإذا نسبت إلى الخلق المكلف فهي القدرة على اتخاذ القرارت الصحيحة والتغلب على العقبات الداخلية والخارجية من أجل تحقيق الأهداف المرجوة، وحجب النفس عن المبالغة في مرادها ورغائبها ومطالبها، والإقبال على أوامر الله

(تعالى) والرضا بها. وفقهيا، تعرف الإرادة بالقدرة على تنفيذ أوامر الله (تعالى) والرضا بها عن قصد وتوجه كاملين."[6]

أولا: أنواع الإرادة في القرآن:

أ- الإرادة الإلهية: وهي إرادة مطلقة وتسمى أحيانا باسم المشيئة الإلهية:

{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (النحل:40).

{.... إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} (هود:107).

{إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} (المائدة:1).

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (يس:82).

{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} (الفرقان:2).

{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً} (الفرقان:45).

{كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً} (الأحزاب:38).

{فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} (الأنعام:125).

[6] د. زغلول النجار | الإرادة في القرآن الكريم، 2016

{أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ*أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ} (الواقعة:68- 70).

ب- إرادة المكلفين (العقلاء) من خلق الله:

{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} البلد: 10.

{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} المدثر: 38.

{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} فصلت: 46.

{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة: 286.

{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} الزلزلة: 7-8

{... وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}. آل عمران:145.

{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً* وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} الإنسان:30-29.

{مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ} هود:15.

{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً} النساء:28-27.

{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ} لمائدة:91.

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً} الإسراء:16.

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} الصف:8.

{بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ} القيامة:6.

{مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً* وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً} الإسراء:19.

خاتمة الفصل: الحرية بوصفها مسؤولية ومعنى

في ضوء ما تقدم، لا تعود الإرادة الحرة استثناءً خارقًا للطبيعة، ولا وهمًا قابلًا للإلغاء، بل وظيفة رفيعة تنشأ حين يلتقي التعقيد المادي بالتكامل الواعي وبالمعنى القيمي.

إن الحرية ليست غياب السببية، بل السببية حين تصبح واعية بذاتها، موجّهة بقيمٍ وغايات، قادرة على تأجيل التلقائية، وعلى تملّك الفعل بوصفه "اختيارًا".

وبهذا تلتقي الفلسفة والعلم والقرآن في نقطة واحدة :أن الإنسان لا يُختزل إلى آلة، ولا يُرفع إلى قوةٍ بلا قانون، بل يُفهم بوصفه كائنًا مُكلّفًا: يختار داخل العالم، ويُسأل عن اختياره، لأن في اختياره معنى.

الخاتمة العامة / بداية الجديدة

بين السؤال والمعنى

لم يكن هذا الكتاب محاولة للإجابة عن الأسئلة الكبرى بقدر ما كان محاولة لإعادتها إلى مكانها الطبيعي في القلب من الوجود، وفي صميم العلاقة بين الإنسان والعالم والله.

لقد بدأنا من سؤال الخلق، وانتقلنا إلى سؤال الوعي، وتتبعنا مسارات السرمدي والزمني، واختلفت بنا الطرق بين القرآن، والتراث الإسلامي، والفلسفة الحديثة، لكن الخيط الذي جمعها جميعًا كان واحدًا: أن الوجود ليس صامتًا، وأن المعنى ليس طارئًا، وأن الإنسان ليس مجرد شاهد محايد في كون بلا روح، بل هو كائن يُسأل، ويُدعى إلى الفهم، ويُستودَع الأمانة.

لم يكشف هذا الكتاب عن كونٍ ميكانيكيّ مغلق، ولا عن وعيٍ محصور في الدماغ وحده، ولا عن دينٍ معزول عن العالم، بل عن عالمٍ متجدد بالخلق، مشحون بالمعنى، متدرج بالوعي، قائم بعلاقة دائمة مع مصدره.

فالقرآن لم يُقرأ هنا بوصفه كتاب تشريع فقط، بل بوصفه كتاب رؤية كونية، يربط بين الله، والوجود، والوعي، والإنسان في أفق واحد.

لسنا أمام يقين نهائي، ولا أمام نسق مغلق، بل أمام أفق مفتوح للفهم والتأمل. فكل محاولة لفهم الخلق تقود إلى سؤال جديد، وكل محاولة لفهم الوعي تكشف حدوده، وكل محاولة لفهم السرمدية تذكّرنا بضيق اللغة أمام الاتساع. وهنا تكمن قيمة السؤال، لا في امتلاك الجواب، بل في البقاء داخل الدهشة.

إن أخطر ما يمكن أن يصيب الإنسان المعاصر ليس الجهل، بل اختزال العالم إلى مادة بلا معنى، واختزال نفسه إلى وظيفة بلا روح، واختزال الدين إلى شعار بلا رؤية.

وهذا الكتاب دعوة إلى مقاومة هذا الاختزال بأن نرى في الكون آية، وفي الوعي مسؤولية، وفي العلم طريقًا للفهم لا بديلاً عن المعنى، وفي الدين حضورًا في العالم لا انسحابًا منه.

إذا كان للكتاب رسالة أخيرة، فهي هذه:

لسنا وحدنا في هذا الوجود.

ولسنا أول من طرح هذه الأسئلة.

ولن نكون آخر من يسير في هذا الطريق.

نحن جزء من حوار كوني ممتد بين الخالق والمخلوق، بين العقل والقلب، بين العلم والمعنى، بين الزمان والسرمدية. وحين ندرك ذلك، لا يصبح السؤال عبئًا، بل عبادة، ولا يصبح التفكير خطرًا، بل طريقًا إلى التواضع، ولا يصبح الوجود عبثًا، بل أمانة.

وهكذا لا ينتهي هذا الكتاب بخاتمة، بل ببداية جديدة: بداية وعيٍ يرى في الكون أكثر من مادة، وفي الإنسان أكثر من صدفة، وفي الدين أكثر من نصٍ، وفي السؤال أكثر من حيرة.

رحلة تبدأ بالدهشة...

وتستمر بالمسؤولية...

ولا تنتهي إلا بالصمت المتأمل.

مسرد المصطلحات

مسرد المصطلحات

المحور الأول: الخلق والوجود (Creation & Ontology)

الخلق:(Creation)
لا يُفهم في هذا الكتاب بوصفه حدثًا ماضيًا مغلقًا، بل فعلًا متجددًا وعلاقة دائمة بين الإرادة الإلهية والوجود. فالخلق ليس انتقالًا من عدم مطلق إلى وجود، بل تجلّيًا للمعنى في صور كونية متحوّلة. وهو فعل مستمر يربط الأزلي بالزمني دون أن يختزل أحدهما في الآخر.

العدم:(Nothingness)
لا يُستخدم في الخطاب القرآني بوصفه أصلًا أنطولوجيًا للوجود، بل يظهر الغياب لصالح مفاهيم التحول والتقدير والكلمة. وفي هذا الكتاب، يُنتقد تصور العدم المطلق بوصفه افتراضًا فلسفيًا لاحقًا لا ضرورة نصية له.

الحق:(Truth / Meaning)
مبدأ انتظام الوجود ومعناه، لا مجرد قيمة معرفية. فالخلق بالحق يعني أن الكون قائم على دلالة وغائية وانتظام، لا على الصدفة أو العبث.

الأمر والكلمة:(Command & Word)
يشيران إلى أن الوجود ليس مادة صماء، بل استجابة لإرادة ومعنى. فالكلمة الإلهية ليست صوتًا لغويًا، بل مبدأ ظهور وتحقق في العالم.

التقدير:(Qadar / Measure)
بنية انتظام الوجود وفق مقياس ومعنى، لا حتمية ميكانيكية صماء. يدل على أن الخلق موزون، موجه، ومفتوح على التحول ضمن حدود.

التجلّي:(Manifestation)
ظهور الأزلي في صور زمنية دون أن يفقد تعاليه. فالكون تجلٍّ للأمر الإلهي لا هويةً لله ذاته.

السرمدية:(Eternity)
مستوى وجود خارج مقولات قبل وبعد، يخص الذات الإلهية وحدها، بينما يظهر العالم في الزمان بوصفه تجلّيًا محدودًا لها.

الزمان:(Time)
ليس جوهرًا مستقلًا، بل صورة إدراكية لتعاقب التحولات في الوجود. وهو إطار الوعي البشري لفهم التغير، لا قيدًا على الإرادة الإلهية
.

الوجود القائم بالله:
رؤية ترى أن العالم ليس هو الله، ولا منفصلًا عنه استقلالًا تامًا، بل قائم به اعتمادًا وجوديًا دائمًا دون حلول أو اتحاد.

المحور الثاني: الوعي والإدراك(Consciousness & Awareness)

الوعي:(Consciousness)
يُفهم بوصفه علاقة بين الموجود والمعنى، لا وظيفة دماغية فقط. وهو خاصية وجودية متدرجة تشمل الإنسان والكون بدرجات مختلفة، يبلغ الإنسان أعلاها بوصفه كائنًا أخلاقيًا مسؤولًا.

شمولية الوعي:(Panpsychism – Quranic sense)
تصور يرى أن الإدراك ليس حكرًا على الإنسان، بل طيف وجودي يمتد في العالم كله وفق أنماط تناسب كل مرتبة من مراتب الوجود.

الخبرة الذاتية:(Qualia)
الجانب الداخلي غير القابل للاختزال في التجربة الواعية (كالألم واللون والمعنى)، ويُعد دليلًا على حدود التفسير المادي الخالص.

القصدية:(Intentionality)
كون الوعي متجهًا دائمًا نحو شيء ما، أي أنه وعي بالمعنى لا مجرد نشاط عصبي مغلق على ذاته.

الذات:(Self)
ليست جوهرًا ثابتًا منفصلًا، بل بنية سردية ووجودية تتكوّن عبر الوعي والذاكرة والمسؤولية الأخلاقية.

اللاوعي:(Unconscious)
مستوى من العمليات النفسية والعصبية التي تسبق الوعي ولا تُلغيه، بل تكشف أن الوعي درجات لا وحدة بسيطة.

المحور الثالث: العقل والقلب(Reason & Heart)

العقل:
أداة إدراك وتمييز أخلاقي ومعرفي، لا مصدرًا مكتفيًا بذاته للحقيقة. وهو في التراث الإسلامي جزء من منظومة أوسع تشمل الوحي والقلب.
القلب:
مركز الوعي الوجودي والشهود والمعنى في القرآن والتصوف، لا مجرد عضو بيولوجي. وهو موضع الفقه، والتدبر، والطمأنينة، والخشية.

الشهود:(Witnessing)
نمط من المعرفة يتجاوز البرهان إلى الحضور، حيث يصبح الوعي مشاركة في المعنى لا مجرد ملاحظة خارجية.

المحور الرابع: اللغة والمعنى(Language & Meaning)

المجاز والحقيقة:

لا يُختزل الخطاب القرآني إلى المجاز البلاغي، بل تُقرأ لغته بوصفها كشفًا أنطولوجيًا عن طبيعة الوجود، لا زخرفة تعليمية فقط.

البلاغة

الأنطولوجية:
مفهوم يرى أن لغة القرآن تصف بنية الوجود ذاته، لا مجرد صور بيانية.

التسبيح:
فعل وجودي ينسب إلى الموجودات بوصفه استجابة للحق، لا مجرد دلالة رمزية.

السجود:
تعبير عن علاقة الطاعة الكونية بين الوجود والأمر الإلهي، لا حركة فيزيائية فقط.

الشهادة:
قدرة الوجود على حفظ المعنى والتعبير عنه يوم القيامة، بما يشير إلى ذاكرة كونية.

المحور الخامس: الأزلي والزمني(Eternal & Temporal)

خلق القرآن:
قضية تعبّر عن توتر بين السرمدي والتاريخي، حيث يُفهم القرآن أزليًا في مصدره وزمنيًا في تجليه اللغوي.

وحدة الوجود:
مفهوم صوفي يشير إلى وحدة المصدر وتعدد المظاهر، لا إلى حلول الخالق في المخلوق.

الحلول والاتحاد:
تصورات تُنفي التمايز بين الله والعالم، ويرفضها هذا الكتاب لصالح مفهوم العلاقة دون ذوبان.

الكسب:
تصور أشعري يرى أن الإنسان يكتسب فعله ضمن مشيئة الله، دون أن يكون مجبورًا ميكانيكيًا.

المحور السادس: الحرية والسببية(Freedom & Causality)

الإرادة الحرة:
قدرة الوعي على الاختيار الموجّه بالقيم ضمن مجال سببي مفتوح، لا خروجًا من القانون الطبيعي ولا خضوعًا آليًا له.

الحتمية:
رؤية ترى أن كل الأحداث محددة بأسباب سابقة، ويعيد الكتاب قراءتها ضمن نموذج سببية متعددة المستويات لا ميكانيكية صلبة.

التوافقية:
موقف يرى أن الحرية ممكنة داخل نظام سببي، إذا عُرّفت بوصفها اختيارًا واعيًا غير مكره.

السببية كمجال لا كسلسلة:
تصور حديث يرى السببية شبكة من القيود والاحتمالات، لا خطًا مغلقًا من الضرورات.

المحور السابع: الرؤية التركيبية

الرؤية التركيبية:
إطار فلسفي يجمع بين الخلق المتجدد، والوعي المتدرج، والسرمدية الإلهية، دون اختزال مادي أو حلول صوفي.

الكون مجال للمعنى:
تصور يرى أن العالم ليس مادة صماء، بل فضاء دلاليًا تتجلّى فيه العلاقة بين الله والوجود والإنسان.

الإنسان شاهد ومسؤول:
الإنسان ليس مركز الكون بالقوة، بل بالأمانة، بوصفه الكائن الذي يعي المعنى ويُسأل عن استجابته له.

المراجع

قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، الشيخ نديم الجسر، 1961

الحلولية ووحدة الوجود، عبد الوهاب المسيري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2018

Consciousness: An Introduction; by Susan Blackmore , 2010

The World As I See It by Albert Einstein; 2006

A Brief History of Time: From the Big Bang to Black Holes by Stephen Hawking, 1988.

THE LIGHTNESS OF BEING: Mass, Ether, and the Unification of Forces. FRANK WILCZEK, Basic Books; September 2, 2008.

What Is Your Dangerous Idea? Today's Leading Thinkers on the Unthinkable (Edge Question Series), by John Brockman, 2016.

Stanford Encyclopaedia of Philosophy

Encyclopedialike Britannica

Ethics, by Baruch Spinoza,
Stuart Hampshire (Introduction),
Edwin M. Curley (Translator)

سَرْمَد الكَلام مِسْك الخِتام

آيات الخلق والتوحيد وعظمة الله في الكون، كما جمعها ورتبها الشيخ نديم الجسر رحمه الله في كتابه قصة الإيمان، أضعها لتتفكروا في هديها، مع اقتباس قصير من سياق ورودها في القصة:

" الشيخ: وخلاصة القول، يا حيران، ان آيات القرآن تكاد تكون مقسمة بين: دعوةٍ الى الله، وارشادٍ الى دلائل وجوده، ووحدانيته، وعلمه، وقدرته، وارادته، وعنايته، ورحمته، وجميع صفات كماله — ووعد ووعيدٍ للترغيب في طاعته والتحذير من معصيته وتوكيد ليوم البعث والدّين – وأحكام في العبادات والمعاملات – وحكمةٍ عمليةٍ في الحياة. وحضّ على مكارم الاخلاق – وقَصَص يَمُتُ بسبب الى هذه الاقسام الستة. ولكنَّ اهمَّ هذه الأقسام، وأَعظمها عند الله، هو القسْم الاول؛ لأن الأيمان بالله هو الأصل وهو الأساس لكل ما عداه. ولذلك ترى، وانت تَتَصفَّح القرآن، ان الآيات الدالة على الله، لا تكاد تخلو منها سورة من السُّوَر، بل يتكرر ذكرها، احياناً، في السورة الواحدة.

يقول حيران بن الأضعف: وهنا ناولني الشيخ الدفتر الذي كان يكتب فيه الآيات وقال:

الشيخ: هذا هو الدفتر الذي جمعت لك به، على ترتيب النزول، اكثر آيات القرآن التي اراد بها الله تعالى اقامة البراهين على وجوده، وعلى انه هو الخالق، البارئ، المصور، العليم، القادر، الحكيم، واكثر فيها سبحانه من الإشارة الى أسرار قدرته وحكته الدالة على القصد والنظام والأحكام والإتقان والتقدير والاتزان، في خلق السموات والارض، والشمس، والقمر، والكواكب، والنجوم، والليل، والنهار، والرياح، والأمطار، والجبال، والانهار، والبحار، والنبات، والحيوان، والانسان،

والأسماع، والأبصار، والافئدة، وما ينطوي عليه هذا الخلق من قوانين ونواميس. فتعال يا حيران نقرأ هذه الآيات ونستعرضها جملةً واحدة، ثم ندرسها على ضوء ما كشفه العلم من اسرار الوجود والخلق.

حيران: لماذا اختار مولاي ايراد الآيات على ترتيب النزول، ولم يوردها على ترتيب السور؟

الشيخ: لأني اردت لك ان تتصور نفسك من اهل العصر الذي نزل به القرآن، لترى كيف توالى الوحي، وتتابع الهدى، في خطاب الناس بهذه البراهين الدالة على الله، فان ذلك يجعل تلاوة هذه الآيات ابلغ أثراً في نفسك، وأيسر في تفهم اسلوب الهَدى الكريم، الذي اتبعه القرآن.

يقول حيران: ثم دفع اليّ الشيخ ذلك الدفتر وقال: اقرأ وأَسمِعْني.

فقرأت الآيات الآتية:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العلق:

قُرْءَانَ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

سورة الأعلى:

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾

سورة الإخلاص:

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

سورة عبس:

قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾... فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾

سورة الشمس:

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾

سورة التين:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾

سورة القيامة:

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾

سورة المرسلات:

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾

سورة المرسلات (الآيات ٢٠–٢٧):

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾

سورة ق (الآيات ٦-١١):

أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾

سورة البلد:

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

سورة القمر:

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

سورة الأعراف (الآية ٥٤):

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

سورة الأعراف (الآية ٥٧):

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

سورة الأعراف (الآية ١٨٥):

أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾

سورة الأعراف (الآية ١٨٩):

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا... ﴿١٨٩﴾

سورة الأعراف (الآية ١٩١):

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾

سورة يس (الآيات ٣٣-٤٠):

وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

سورة يس (الآيات ٧١-٧٣):

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

سورة يس (الآيات ٧٧–٨١):

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

سورة الفرقان (الآية ٢):

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

سورة الفرقان (الآيات ٤٥–٥٠):

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

سورة الفرقان (الآيتان ٥٣–٥٤):

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

سورة الفرقان (الآيتان ٦١-٦٢):

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

سورة فاطر (الآيتان ٣-٤):

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾

سورة فاطر (الآية ٩):

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾

سورة فاطر (الآيات ١١-١٣):

وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾

سورة فاطر (الآية ٢٧-٢٨):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

سورة فاطر (الآية ٤١):

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

سورة مريم (الآية ٦٧):

أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾

سورة طه (الآيات ٤٩-٥٤):

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾

سورة الواقعة (الآيات ٥٧-٦٢):

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

سورة الواقعة (الآيات ٦٨-٧٠):

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

سورة الواقعة (الآيات ٧١-٧٣):

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

سورة الواقعة (الآيتان ٧٥-٧٦):

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

سورة الشعراء (الآيتان ٧-٨):

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

سورة النمل (الآيات ٦٠-٦١):

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

سورة النمل (الآية ٨٦):

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

سورة النمل (الآية ٨٨):

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

سورة القصص (الآية ٦٨):

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾

سورة القصص (الآيات ٧١-٧٣):

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

سورة الإسراء (الآية ١٢):

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

سورة الإسراء (الآية ٦٦):

سورة الإسراء (الآية ٧٠):

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

سورة الإسراء (الآية ٨٥):

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

سورة يونس (الآيات ٥-٦):

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾

سورة يونس (الآيات ٣١-٣٢):

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

سورة يونس (الآيات ٣٤-٣٦):

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

سورة يونس (الآية ٦٧):

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

سورة يونس (الآية ١٠١):

قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾

سورة هود (الآية ٦):

وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾

سورة الحجر (الآيات ١٩-٢٢):

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾

سورة الحجر (الآيتان ٢٦، ٢٨):

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ... وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾

سورة الحجر (الآية ٨٥):

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾

سورة الأنعام (الآية ١):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

سورة الأنعام (الآية ٢):

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾

سورة الأنعام (الآية ٣٨):

وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

سورة الأنعام (الآيات ٧٥-٧٨):

وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ
﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ
مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا
أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

سورة الأنعام (الآيات ٩٥-٩٩):

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ
فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ

الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

سورة الأنعام (الآيتان ١٠٢-١٠٣):

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

سورة الأنعام (الآيات ١٤١-١٤٢):

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

سورة الصافات (الآيتان ١١-١٢):

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾

سورة لقمان (الآيات ١٠-١١):

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

سورة لقمان (الآية ٢٠):

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

سورة لقمان (الآية ٢٧):

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

سورة لقمان (الآيات ٢٩–٣١):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

سورة سبأ (الآية ٦):

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾

سورة الزمر (الآيات ٥–٦):

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ

فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

سورة الزمر (الآية ٢١):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

سورة الزمر (الآيات ٦٢–٦٤):

اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾

سورة غافر (الآية ١٣):

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

سورة غافر (الآيات ٦١–٦٤):

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾

سورة غافر (الآيات ٦٧-٦٨):

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

سورة غافر (الآيتان ٧٩-٨١):

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

سورة فصلت (الآية ٣٧):

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

سورة فصلت (الآية ٥٣):

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

سورة الشورى (الآية ١١):

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾

سورة الشورى (الآية ٢٩):

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

سورة الشورى (الآيتان ٣٢-٣٣):

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾

سورة الزخرف (الآيات ٩-١٣):

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾

سورة الجاثية (الآيات ٣-٦):

إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

سورة الجاثية (الآيتان ١٢-١٣):

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

سورة الأحقاف (الآيتان ٣-٤):

مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

سورة الذاريات (الآيتان ٢٠-٢١):

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

سورة الذاريات (الآيات ٤٧-٤٩):

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

سورة الغاشية (الآيات ١٧-٢١):

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾

سورة الكهف (الآية ٣٧):

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾

سورة الكهف (الآية ١٠٩):

قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

سورة النحل (الآيات ٣-٤):

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾

سورة النحل (الآيات ٥-٨):

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

سورة النحل (الآيات ١٠-١٦):

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن

فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

سورة النحل (الآيات ١٧–٢٠):

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾

سورة النحل (الآية ٤٠):

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

سورة النحل (الآيات ٦٥–٦٩):

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٦﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٨﴾ ... (الآية ٦٩ حول النحل، وهي طويلة وقد ورد جزء منها مشوهاً).

سورة النحل (الآية ٧٨):

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

سورة النحل (الآيات ٧٩–٨١):

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ

الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ... ﴿٨١﴾

سورة نوح (الآيات ١٤-١٩):

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

سورة إبراهيم (الآية ١٠):

أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ... ﴿١٠﴾

سورة إبراهيم (الآيتان ٢٤-٢٦):

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

سورة إبراهيم (الآيات ٣٢-٣٣):

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

سورة الأنبياء (الآيات ٣٠-٣٣):

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

سورة المؤمنون (الآيات ١٢-٢٢):

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

سورة المؤمنون (الآيات ٧٨-٨٠):

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾

سورة السجدة (الآيات ٧-٩):

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

سورة السجدة (الآية ٢٧):

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

سورة الطور (الآيات ٣٥-٣٦):

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾

سورة الملك (الآيتان ١-٢):

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

سورة الملك (الآيات ٣-٤):

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

سورة الملك (الآية ١٥):

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

سورة الملك (الآية ١٩):

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

سورة الملك (الآية ٢٣):

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾

سورة الملك (الآية ٣٠):

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سورة المرسلات (الآيتان ١٣–١٤):

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ ... فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ (الآيتان غير مطابقتين للنص، النص المقتبس "فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُوْنَ..." هو من سورة الحاقة).

سورة الحاقة (الآيتان ٣٨–٣٩):

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾

سورة المعارج (الآية ٤٠):

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾

سورة النبأ (الآيات ٦-١٦):

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

سورة النازعات (الآيات ٢٧-٣٣):

أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾

سورة الانفطار (الآيات ٦-٨):

يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

سورة الروم (الآية ٨):

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾

سورة الروم (الآيات ١٧-٢٥):

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

سورة الروم (الآية ٤٦):

وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

سورة الروم (الآيات ٤٨-٥٠):

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

سورة الروم (الآية ١٠):

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ (الآية غير مطابقة للنص المشوَّش "وَمِن النَّاسِ مَنْ يَفُول...")

سورة العنكبوت (الآية ٢٠):

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

سورة العنكبوت (الآيتان ٤١–٤٣):

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

سورة العنكبوت (الآية ٦١):

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

سورة العنكبوت (الآية ٦٣):

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

سورة البقرة (الآيات ٢١-٢٢):

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

سورة البقرة (الآيتان ٢٨-٢٩):

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

سورة البقرة (الآية ١١٧):

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

سورة البقرة (الآية ١٦٤):

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

سورة البقرة (الآية ١٧١):

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

سورة البقرة (الآية ١٨٩):

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

سورة آل عمران (الآيتان ٦–٧):

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

سورة آل عمران (الآية ١٨):

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سورة آل عمران (الآيات ٢٦–٢٧):

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

سورة آل عمران (الآيات ١٩٠–١٩١):

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

سورة النساء (الآية ١):

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

سورة الحديد (الآية ٦):

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾

سورة الحديد (الآية ١٧):

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

سورة الرعد (الآيات ٢–٤):

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

سورة الرعد (الآية ١٢):

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾

سورة الرعد (الآيات ١٦–١٧):

قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

سورة الرحمن (الآيات ١–٥):

الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾

سورة الإنسان (الآيات ١–٢):

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾

سورة الطلاق (الآية ٣):

وَقَدَّرَ لَهُ رِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

سورة النور (الآيات ٤٣–٤٥):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

سورة الحج (الآيات ٥–٧):

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾

سورة الحج (الآية ١١):

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

سورة الحج (الآية ٤٦):

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

سورة الحج (الآيات ٦١-٦٤):

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

سورة الحج (الآيات ٦٥-٦٦):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

سورة الحج (الآيتان ٧٣-٧٤):

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

سورة التغابن (الآية ٣):

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾